بدائع القصر
في
النظم العربي

دكتور ابراهيم على حسن داود

القصر فن يمتاز بالايجاز والتوكيد وهو من الفنون المحكمة الدقيقة التى تجعل الأسلوب مصورا قويا يوحى الى القارىء بمعان شتى • ويغلب على الظن أن أول من أطلق هذا المصطلح على جملة مباحثه هو أبو يعقوب يوسف السكاكى (١) • وقد عرف هذا المعنى عند القاضى عبد الجبار (٢) بالتخصيص وذكر من طرقه تقديم ما حقه التأخير • وانما ، وتعريف الطرفين ، ففى التقديم تراه يقول فى معرض استدلاله على أن أفعال العباد من فعلهم ولا دخل لأحد فيها ، ويدل على قولنا من وجه آخر أن قوله تعالى « اياك نعبد » (٣) تخصيص له بأنا نعبده دون غيره (٤) وذلك لا يصح الا بأن يكون العبد مختار الفعل على فعل لأنه قد تقع العبارة على جهة الالجاء • وانما ينصرف الفعل الى أن يكون عبادة لله عز وجل باختياره وبأمور تتعلق به ؛ وفى

---

(١) مفتاح العلوم ـ السكاكى ص ١٣٨ ط أولى مصطفى الحلبى ١٣٥٦ هـ •

(٢) بلاغة القرآن فى آثار القاضى عبد الجبار • د عبد الفتاح لاشين ص ١٦٢ دار الفكر ١٩٧٨ •

(٣) أم القرآن / ٥ •

(٤) متشابه القرآن • القاضى عبد الجبار ص ٤٢ ت د• عدنان زرزور ط بيروت •

ذلك ابطال القول بأن هذه الأفعال لله عز وجل يخلقها فى العبد • فقد جعل القاضى الاختصاص فى الآية دليلا على أن أفعال العبـــاد من خلقهم • اذ أن الاختصاص فيها ينطوى على الاختيار والتفصيل لأن معناه : نخصك بالعبادة دون غيرك • وفى ذلك اختيار للعمل ودليـل على صدوره منه دون غيره • كما ذكروا «انما» مفادا منها الاختصاص فى معرض الاستدلال والاحتجاج على أن المراد بالهدى فى قوله تعالى: « لا ريب فيه هدى للمتقين » (١) الدلالة ، فقال : وانما خص المتقين فى هذا الموضع لأنهم اهتدوا به فصار من حيث انتفعوا به كأن الهدى لهم دون غيرهم •

وهذا كقوله تعالى : « انما أنت منذر من يخشـاها » (٢) ، وان كان منذرا للخلق كلهم • كما قال تعالى : « وما أرسلناك الا كافة للنـاس بشيرا » وانما خص من يخشى بذلك من حيث اختص بأنه انتفـع بالانذار (٤) •

وقال فى تعريف الطرفين : وربما قيل فى قوله تعالى : « أولئـك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم » (٥) ما فائدة التخصيص وهـو عالم بسرائر القلوب (٦) ، فتراه أطلق على هذا الأسـلوب التخصيص ، ومعلوم أنه مخصص بتعريف الطرفين •

أما الزمخشرى (٧) فقد جارى القاضى عبد الجبار فى اطـلاق

---

(١) البقرة / ٢ •
(٢) النازعات / ٤٥ •
(٣) سبا / ٢٨ •
(٤) متشابه القرآن ٤٨ ، ٤٩ •
(٥) النساء / ٦٣ •
(٦) تنزيه القرآن عن المطاعن • القاضى عبد الجبار ص ١٥٤ ط بيروت
(٧) النظم القـرآنى فى كشـاف الزمخشرى /د• درويش الجندى/ ص ١١٦ ـ ١١٩ / ط نهضة مصر ١٩٦٩ •

الاختصاص على هذا المعنى ، كما ترددت كلمة القصر على لسانه أيضا — يؤنس ذلك — انه قد عرض لمعظم طرق القصر • كتقديم ما حقه التأخير ، وانما وتعريف ركنى الاسناد • وضمير الفصل • والنفى والاستثناء • فالاول كقوله تعالى : « له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » (١) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل • وذلك لأن الملك له على سبيل الحقيقة • لأنه مبدىء كل شىء ومبدعه ، والقائم به والمهيمن عليه • وكذلك الحمد • لأن أصول النعم وفروعها منه • وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (٢) ويقول فى «انما» عند تفسير قوله تعالى : « انما نحن مصلحون » (٣) انما لقصر الحكم على شىء كقولك : انما ينطلق زيد ، أو لقصر الشىء على حكم كقولك : انما زيد كاتب • ومعنى انما نحن مصلحون : أن صفه المصلحين خلصت لهم ، وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد • وقد رد الله عليهم أبلغ رد وأدله على سخط عظيم فى قوله « ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » (٤) •

والمبالغة فيه من جهة الاستئناف • وما فى كلتا الكلمتين : الا ، وان من التأكيد ، وتعريف الخبر ، وتوسيط ضمير الفصل • وفى تعريف ركنى الاسناد يقول فى قوله تعالى : « ذلك الكتاب » (٥) معناه : ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل • كأن ما عداه من الكتب فى مقابلته ناقص ،

---

(١) سورة التغابن / ١ •

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل الزمخشرى ٤/١١٢ ، ١١٣ ، ط الحلبى •

(٣) البقرة /١١ ، الكشاف ١/١٨٠ ، ١٨١ •

(٤) البقرة / ١٢ •

(٥) البقرة / ١ ، الكشاف ١/١٠٨ •

وأنه الذى يستأهل أن يسمى كتابا • كمال تقول : هو الرجـــل أى الكامل فى الرجولية ، الجامع لمـا يكون فى الرجال من مرضـــيات الخصـــال •

وفى ضمير الفصل يقـول فى قوله تعـــالى : « وأولئـــك هم المفلحون » (١) هم : فصل وفائدته : الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفه • والتوكيد • وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليـه دون غيره • وفى النفى والاستثناء يقول فى قوله تعالى : « قل ما أسـألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا » (٢) الا فعـل من شاء واستثنائه عن الاجر قول ذى شفقة عليك قد سعى لك فى تحصيل مال : ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الا أن تحفظ هـــذا المال ولا تضيعه • فليس حفظ المـال لنفسك من جنس الثواب • لكن صـوره هو بصورة الثواب ، وسماه باسمه فأفاد فائدتين :

أحدهما : خلع شبهة الطمع فى الثواب من أصله • كأنه يقـول لك : ان كان حفظك لمـالك ثوابا ، فانى أطلب الثواب •

والثانية : اظهار الشفقة البالغة ، وأنك ان حفظت مالك اعتـد بحفظك ثوابا • ورضى به كما يرضى المثاب بالثواب •

هذا : وقد ذكر الزمخشرى ما يفيد أن المقصور عليه بانما هـو المتأخر (٣) يقول عند قوله تعالى : « انما يخشى الله من عبـــاده العلماء » (٤) فانك اذا قدمت اسم الله . وأخرت العلماء • كان المعنى:

---

(١) البقرة / ٤ الكشاف ١/١٤٥ ، ١٤٦ •
(٢) الفرقان /٥٧ • الكشاف ٣/٩٧ •
(٣) النظم القرآنى فى كشاف الزمخشرى ص ١١٨ •
(٤) فاطر /٢٨ • الكشاف ٣/٣٠٧ ، ينظر دلائل الاعجاز • الامام عبد القاهر ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ت : محمد شاكر ط المدنى •

أن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم • واذا عملت العكس انقلب المعنى الى أنهم لا يخشون الا اله كقوله تعالى: « ولا يخشون أحدا الا الله » (١) وهما معنيان مختلفان •

وفى الحقيقة أن ما ذكره « جار الله » انما هو من فيض « عبد القاهر » عند حديثه فى دلائل الاعجاز عن القصر (١) • ولعل الامام عبد القاهر هو أول من تحدث عن أسلوب القصر حديثا بلاغيا فقد عرض له فى كتابه القيم « دلائل الاعجاز » وهو بصدد الحديث عن «ان» اذا اتصلت بها «ما» فنقل عن أبى على الفارسى قوله فى الشيرازيات (٢) : ان ناسا من النحويين يقولون فى قوله تعالى : « قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن » (٣) أن المعنى : ما حرم ربى الا الفواحش • أى أن انما : بمعنى ما والا •

ونقل الشيخ أيضا ما استدل به أبو على الفارسى على صحة قول النحويين (٤) • وعلق عليه بقوله : « لم يعنوا بذلك أن المعنى فى هذا هو المعنى فى ذلك بعينه • وأن سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد • وفرق بين أن يكون فى الشىء معنى الشىء • وبين أن يكون الشىء الشىء على الاطلاق • فليس كل كلام يصلح فيه ما والا يصلح فيه انما • ألا ترى أن انما لاتصلح فى مثل قوله تعالى : « وما من اله

---

(١) دلائل الاعجاز ٣٣٨ ـ ٣٣٩ •

(٢) ذاته ٣٢٨ ـ ٣٢٩ •

(٣) الأعراف ٣٣ •

(٤) البلاغة تطور وتاريخ د• أحمد شوقى ضيف ص ١٨٢ ط دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٧٦ ، فن البلاغة د• عبد القادر حسين ١٦٢ ، ١٦٣ ط الأمانة •

الا الله » ولا فى نحو قولنا : ما أحد الا وهو يقول ذاك ــ اذ لو قلت : انما من اله الله ، وانما أحد وهو يقول ذاك • قلت ما لا يكون له معنى وسببذلك أن لفظ «أحدا» لا يقع الا فى النفى ، وما يجرى مجرى النفى من النهى والاستفهام ، وأن • من • المزيدة فى « وما من اله الا الله » لا تكون الا فى النفى • وهذا دليل على أن • ما والا • وانما ليسا سواء ، لأنهما لو كانا سواء لكان ينبغى أن يكون فى « انما » من النفى مثل ما يكون فى • ما والا • وتقول : انما هو درهم لا دينار ، فيصلح فيه انما . ولا يصلح فيه ما والا ، فلا يقال : ما هو الا درهم لا دينار لأن • لا • النافية لا تجامع النفى والاستثناء •

ثم مضى الشيخ عبد القاهر يفصل القول فى انما ، فيوضح مواضعها ، وكذلك ما والا ، وطريق العطف ، والتقديم وغير ذلك • وتراه يحلل الأمثلة ويميز الفرق بينها • كل ذلك بذوق بلاغى دقيق • ثم جاء البلاغيون بعده فنهلوا من منهله • وحددوا القصر ، وقسموه• ولا زالت ألسنتهم تلهج بحديثه الى أن يشاء الله •

والذى عليه الجمهور أن التخصيص هو الحصر : أما « تقى الدين السبكى » فقد فرق بينهما قائلا (٢) . « ان التخصيص : قصد المتكلم افادة السامع خصوص شىء من غير تعرض لغيره باثبات ولا نفى بسبب اعتناء المتكلم بذلك الشىء وتقديمه له فى كلامه • فاذا قلت : زيدا ضربت • كان المقصود الأهم افادة خصوص وقوع الضرب على

---

(١) آل عمران ٦٢ •

(٢) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ١٥٣/٢ ط بولاق ٣١٨ هـ تقرير الشمس الانبابى على شرح سعد الدين التفتازانى لتلخيص المتفاح ٢٧/٢ . ٢٨ ط السعادة ١٣٣١ هـ •

زيد لا افادة حصول الضرب منك ولا تعرض فى الكلام لغير زيد باثبات ولا نفى • وأما الحصر فمعناه نفى غير المذكور ، واثبات المذكور • ويعبر عنه بما والا • وبانما فهو زائد على الاختصاص » • وفى الحقيقة أن ما ذهب اليه التقى السبكى مخالف لما عليه أهل المعانى فى دراسة التراكيب • كما أنه ليس وصفا دقيقا لما يستفاد من هذه الأساليب•

• • •

القصر فى اللغة : جاء فى « مقاييس اللغة » (١) لأحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) القاف والصاد والراء : أصلان صحيحان • أحدهما يدل على أن يبلغ الشىء مداه ونهايته ، فالأول : القصر خلاف الطول • يقول : هو قصير بين القصر • ويقال : قصرت الثوب والحبل تقصيرا ، والقصر قصر الصلاة : وهو ألا يتم لأجل السفر • قال الله تعالى : « فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » (٢) •

قال النابغة الذبيانى :

لولا علائق من نعم علقت بها
لأقصر القلب منى أى اقتصار (٣)

وكل هذا فياسه واحد ، وهو ألا يبلغ مدى الشىء ونهايته ••• والأصل الآخر ، وقد قلنا انهما متقاربان • القصر : الحبس • يقال : قصرته اذا حبسته • وهو مقصور أى محبوس • قال الله تعالى : « حور

---

(١) ج ٢/٩٦ ـ ٩٨ • ت عبد السلام هارون نشر الخانجى ١٤٠٢/١٩٨١ م •
(٢) لنساء ١٠١ •
(٣) الديوان ص ٢٠٢ • ويروى « عنها » بدل « منى » ط دار المعارف

مقصورات فى الخيام » (١) ، وامرأة قاصرة الطرف لا تمده الى غير بعلها • كأنها تحبس طرفها حبسا • قال الله سبحانه : « فيهن قاصرات الطرف » (٢) ومن الباب : قصاراك ان تفعل كذا ، وقصرك • كأنه يراد ما اقتصرت عليه ، وحبست نفسك عليه •

والأصل الثانى هو ما ذهب اليه البلاغيون لتحقق معناه فى القصر اذ أن تخصيص شىء بشىء معناه : حبس شىء على شىء : أى حبس صفة على موصوف ، أو حبس موصوف على صفة •

أما القصر الاصطلاحى : فقد تلاقت نظرة البلاغيين اليه على أنه تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص (٣) ففى ذلك التعريف ورد لفظ شىء مرتين • ويرى الانبابى أن الشىء الأول هو المقصور ، والشىء الثانى هو المقصور عليه (٣) بينما يرى الدسوقى أن الأول هو المقصور عليه والثانى هو المقصور • فالباء فى قولهم : بشىء داخلة على المقصر (٥) • والمقصور ، والمقصور عليه : هما طرفا القصر • والمراد من قولهم : تخصيص شىء بشىء : تخصيص موصوف بصفة ، أو صفة بموصوف • لأن التخصيص يتضمن مطلق النسبة المستلزمة لمنسوب ، ومنسوب اليه ، فان كان المخصص منسوبا فهو الصفة ، وان كان منسوبا منسوبا اليه فهو الموصوف • والمراد بتخصيص الشىء بالشىء : الاخبار بثبوت الشىء الثانى للشىء الأول دون غيره •فالقصر

---

(١) الرحمن ٧٢ ـ وينظر معانى القرآن • للفراء • ١٢٠/٣ ط الهيئة المصرية •
(٢) الرحمن ٥٦ •
(٣) ينظر على سبيل المثال • تهذيب السعد (مختصر المعانى) • التفتازانى ٤/٣ • ت محمد محيى الدين عبد الحميد ط • حجازى •
(٤) تقرير الانبانى ٣٦/٣ •
(٥) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ١٦٦/٢ •

مطلقا يستلزم النفي والاثبات يقول العصام(١) والقصر : اختلاط الظلام، ولا يبعد أن يكون النقل منه • لان فى القصر الاصطلاحى اختلاط الحكم الايجابى بالسلبى (٢) وعلى ذ لك: فجملة القصر فى قوة جملتين • ولكن هل جملة القصر تفيد بذلك حكمين أو حكما واحدا ؟ يرى العلامة عبد الحكيم السيالكوتى « أن الكلام الذى يشتمل على القصر فيه حكم واحد متضمن للاثبات القصدى والنفى التبعى • والغرض منه : اعتقاد المخاطب الشركة ، أو العكس ، أو المتردد ، وليس المقصود افادة حكمين (٣) يقول الشربينى معلقا على قول عبد الحكيم : « فيه حكم واحد هو تخصيص أمر بصفة دون أخرى أو عكسه • فالتخصيص بشىء دون آخر حكم واحد متضمن ما ذكره ، وحاصله : الاثبات على وجه النفى عن الغير • أو للغير (٤) • »

والمراد بالصفة : الصفة المعنوية • وهى المعنى القائم بالغير المقابل للذات • سواء دل عليه بلفظ النعت النحوى المعروف « أى التابع الذى يدل على معنى فى متبوعه » كلفظ قائم ، أو بغيره • كالفعل نحو ما محمد الا يكتب وليس المراد النعت النحوى (٥) • اذ لا يتأتى قصره بطريق من طرقه ، فلا يقع بعد الا ولا بعد انما ، ولا يعطف ، ولا يتقدم •

والسر فى ذلك : أن القصر انما هو باعتبار حكم بين المقصور والمقصور عليه ، وليس بين النعت والمنعوت حكم حتى يقصر باعتباره

---

(١) الأطول على التلخيص ٢١٣/١ • ط تركيا ١٢٨٤ هـ •
(٢) ترتيب القاموس المحيط • (قصر) •
(٣) السيالكوتى على المطول ٣٦٣ دار الطباعة العامرة ١٢٦٦ هـ •
(٤) فيض الفتاح على حواشى تلخيص المفتاح عبد الرحمن الشربينى: ط مدرسة والدة عباس الأول ١٣٢٥ ، ١٩٠٧ م •
(٥) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ١٦٦/٢ . ١٦٧ •

أحدهما على الآخر (١) • أما الزمخشري فانه اجاز القصر بين النعت ومنعوته • وفي ذلك مخالفة للجمهور اذ أنه لا يصح أن يقول : رأيت رجلا انما هو قائم • لأن جملة انما نعت • اذ القصر هنا كما ترى واقع بين مبتدأ هذه الجملة وخبرها •

والمراد بالموصوف : كل ما قام به غيره • وان كان هو في نفسه بصفة وعلى هذا فجملة القصر قد يكون طرفاها صفتين ، او ذاتين ، وان كانا صفتين : فيكون من قصر الموصوف على الصفة ، كقوله تعالى « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٢) • فقد قصرت العبادة على التقريب قصر موصوف على صفة ، مع ان العبادة وهي المقصور بدل في نفسها على معنى قائم بغيره • وزلفى : حال بتقدير القول من واو اتخذوا • في قوله : « والذين اتخذوا من دونه اولياء ••• » مبينة لسفيه اشراكهم وعدم خلوص دينهم • وكقوله تعالى : «ماننزل الملائكة الا بالحق » (٣) حيث قصر التنزيل للملائكة على كونه بالحق قصر موصوف على صفة : أي ما تنزل الملائكة الا تنزيلا متلبسا بالحق • ومنه قوله عز اسمه « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق » (٤) فقد قصر خلق السموات والأرض على كونه بالحق قصر موصوف على صفة أيضا : أي الا خلقا متلبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ، ومنه قول سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « انما الصبر عند الصدمة الأولى » فهو من قصر الموصوف على الصفة « أي : ما الصبر الكائن الا عند هذه الصدمة » •

---

(١) تقرير الانبابي ٣/٨٩ ، المطول ٢٢٠ •

(٢) الزمر ٣ • تفسير أبي السعود (المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم) ٧/٢٤١ ط بيروت

(٣) الحجر ٨ تفسير البيضاوي (المسمى أنوار التنزيل ، وأسرار التأويل ١/٥٣٨ ط الحلبي ١٩٦٨ ط ثانية •

(٤) الحجر ٨٥ تفسير البيضاوي ١/٥٤٦ •

وان كانا ذاتين : نحو : ما الباب الا ساج • أول فى أحـــدهما حتى يكون صفة • فالمراد فى هذا المثال قصر الباب على الاتصـــاف ساجا • أما قولنا : ما خالد الا أسد ، أو ما أســـــد الا خالد ، فان الغرض من ذلك هو الوصف بالشجاعة • والشجاعة كالمتعارف خاصة بالأسد وعلى ذلك يكون المثال الأول من قصر الموصوف على الصفة • والثانى عكسه •

أما قولهم فى التعريف « بطريق مخصوص » فهو قيد لاخـــراج ما عدا الطرق الأربعة التى اتفق عليها جمهور البـــلاغيين • اذ أن من صور التعبير ما يؤدى معنى القصر كقوله تعـــالى : « والله يختص برحمته من يشاء » (١) •

وقوله سبحانه : « حور مقصورات فى الخيام » (٢) أو قولنا : قصر محمد نفسه على فعل الخيرات • وكقول الشاعر :

أرونى أمة بلغت منـــــاها بغير العلم أوحد اليمانى

ومع ذلك ليست من القصر سواء دل منطوق العبارة عليه كما فى الأمثلة الثلاثة الأولى • أم كانت الدلالة بالفحوى كمـــا فى المثـــال الأخير • قلت ان قولهم « بطريق مخصوص » انما يقصدون به طـــرق القصر الأربعة المصطلح عليها • أكرر ذلك لأن بعض المعـــاصرين يذهبون مذهبا يناقضون فيه القديم • يقول المرحوم الشـــيخ ســـليمان نوار (٣) : خير ما يقال فى تعـــريف القصر : انه دلالة جملة واحـــدة

---

(١) البقرة ١٠٥ (٢) الرحمن ٧٢ •

(٣) مذكرات فى الفصل والوصل والقصر ص ٣ • مطبعة العلوم ١٩٣٤ م

على اختصاص أمر بآخر • سواء كان منشأ تلك الدلالة الوضع ، أم العقل ، أم الذوق،ثم تراه يجعل من القصر قوله تعالى : « والله يختص برحمته من يشاء » (١) وقولهم محمد مقصور على الكتابة » معللا ذلك بأن صيغة اختص ، وقصر ، وحبس هى الصيغ الأصلية • ثم يقول : « ولست أدرى لماذا يجعلون شبه ومشبه من صيغ التشبيه • ولا يجعلون نحو اختص من صيغ القصر ؟

ولكنى أقول : لست أدرى كيف خفى على الشيخ مقصود كل من القصر والتشبيه ؟

وطرق القصر والاختصاص كثيرة أوصلها السيوطى الى أربعة عشر طريقا (٢) • وفى الحقيقة أن غير الطرق المتفق عليها لا تدق مسالكها ، كما أنها خالية من اللطائف البلاغية (٣) •

هذا : وكل أسلوب من أساليب القصر يتضمن اثباتا ونفيا • كما أن طرفيه قد يكون أحدهما صفة والآخر موصوفا • وهذان الطرفان أحدهما مقصور والآخر مقصور عليه ، وهذه أمثلة توضح ذلك وتجليه :

١ — " **النفى والاستثناء** " يقول تعالى : « الله لا اله الا هو الحى القيوم » (٤) ففى هذه الآية قصرت الألوهية على الله تعالى — فالألوهية صفة ، وهى مقصور ، « هو الحى القيوم » موصوف

---

(١) البقرة ١٠٥ •

(٢) الاتقان فى علوم القرآن — السيوطي ٣/١٦٦ — ١٧٨ ط الهيئة المصرية ١٩٧٥ •

(٣) جواهر البلاغة • السيد أحمد الهاشمى ص ١٤٦ ط بيروت ،

(٤) البقرة ٢٥٥ •

ومقصور عليه • وفى قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى (١) **فى هذه الآية كان المشركون** ينكرون أن الرسل من البشر • فأكد لهم القرآن أن الرسل جميعا بما فيهم محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يكونون الا من الرجال ، فقصر الرسالة على الرجال بحيث لا يتعداها الى غيرها من الملائكة لأنهم كانوا يقولون « او شاء ربنا لأنزل ملائكة » (٢) أو يتجاوزوها الى غيرها من النساء • وعن ابن عباس رضى الله عنهما • يريد أن ليست فيهم امرأة • وهنا قصر موصوف على صفة • والمقصور ما قبل أداة الاستثناء • والمقصور عليه ما بعدها •

٢ ــ **« انما » كقوله تعالى** « انما الحياة الدنيا لعب ولهو » (٣) ففى هذه الآية تحقير لأمر الدنيا ، وتهوين لشأنها • فالمقصور : الحياة الدنيا والمقصور عليه : اللهو واللعب • أى حاصلها ذلك الا ما كان منها لله عز وجل • أى لا ثبات لها وهو المنفى • وهذا قصر موصوف على صفة •

٣ ــ « **تقديم ما حقه التأخير** » كقوله تعالى : « اياك نعبد واياك نستعين » (٤) فالأصل فى هذه الآية : نعبدك ونستعين بك • فقدم المفعول به هنا لأجل الاختصاص • والمعنى نخصك بالعبادة ،

---

(١) يوسف ١٠٩ • الكشاف ٣٤٦/٢ •

(٢) فصلت ١٤ ــ الكشاف ٤٤٨/٣ •

(٣) محمد ٣٦ • تفسير ابن كثير (المسمى تفسير القرآن العظيم) ١٨١/٤ ط عيسى الحلبى ، تفسير البيضاوى ٣٩٨/٢ •

(٤) أم القرآن ٦ • تفسير ابى السعود ١٦/١ ، ١٧ :

ونخصك بطلب المعونة دون سواك • أما اذا قال نعبدك ونستعين بك، فانها لا تفيد القصر • ولا يمنع التعبير من مشاركة غيره فى العبادة والاستعانة به فالمقصور عليه : اياك الأولى ، والثانية ــ والمقصور نعبد : ونستعين وهو قصر صفة على موصوف • وفى هذا من التحقير للأصنام وعابديها ما فيه •

٤ ــ « **القطف** » : كقوله تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » (٢) ففى هذه الآية يؤكد لنا المولى عز وجل أن الشهداء ليسوا أمواتا ، ولكنهم أحياء لا نشعر بحياتهم • ولتأكيد هذا الحكم قصروا على الحياة • قصر موصوف على صفة « قصر اضافى » وهذا القصر قلب الحكم السابق وأثبت عكسه ــ الحياة ــ اثباتا مؤكدا • ووجه التأكيد ان قوله تعالى . ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات • نهى عن القول بذلك • وهذا اثبات للحياة • وقوله : أحياء • اثبات للصفة صراحة • فكأنه بذلك أثبتها مرتين • والمقصور عليه « أموات » والمقصور : أحياء ، اذ المقصور عليه هو المقابل لما بعد لا • أما بل ولكن • فالمقصور عليه ما بعدهما •

• • •

« **القصر باعتبار غرض المتكلم** » : من المسلم به أن جملة القصر تتضمن اثباتا ونفيا • وعلى ذلك فالقصر ينقسم بهذا الاعتبار الى

---

(١) البقرة ١٥٤ ، تفسير أبى السعود ١/١٧٩ / ١٨٠ ،

حقيقى واضافى (١) ، فاذا كان النفى موجها الى جميع ما عدا المقصور عليه بحيث يختص المقصور بالمقصور عليه ، ولا يتجاوزه الى غـــيره أصلا • فذلك هو القصر الحقيقى • كقوله تعالى : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير » (٢) فالملك مختص بيده فى الحقيقـــة والواقع ، ولا يتعداه الى غيره أصلا • وذكر السيد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء الكامل • أى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا • الذى بقبضة قدرته التصرف • وقوله تعـــالى : « وما يعلم جنود ربك الا هو » (٣) فمجموع خلق الله على ما هم عليه لا يعلمها الا هو • اذ لا سبيل لأحد الى حصر الممكنات ، والاطـــلاع على حقائقها • وصفاتها ، وما يوجب اختصاص كل بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة •

فتراه قصر العلم عليه هو • وهذا لا يتعداه الى غيره مطلقـــا ــ ومنه قوله تعالى : « واصبر وما صبرك الا بالله (٤) فالاستثناء هنـــا مفرغ من أعم الأشياء • أى وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشىء من الأشياء الا بالله أى بذكره ، والاستغراق فى مراقبة شئونه ، والتبتل اليه بمجامع الهمة •

فقد قصر الصبر هنا على كونه بالله • وهذا قصر حقيقى كمـــا ترى ، ومنه قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى

---

(١) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ١٦٧/٢ •

(٢) الملك ١ • الكشاف ١٣٣/٤ • تفسير أبى السعود ٢/٩ •

(٣) المدثر ٣١ • تفسير البيضاوى ٥١٩/٢ • تفسير ابن السعود ٦٠/٩ •

(٤) النحل ٢٧ • تفسير ابي السعود ١٥٢/٥ •

اليه أنه لا له الا أنا فاعبدون » (١) ففى قوله تعالى «وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه » ترى رسالات الله مقصورة على الوحى بطريق النفى والاستثناء وقوله تعالى « لا اله الا أنا » ترى صفة الألوهية مقصورة على ضمير المتكلم « أنا » وهو الله عز وجل •

ففى جميع صور القصر السابقة ترى المقصور خاصا بالمقصور عليه ، ولا يتأتى له أن يجاوزه الى غيره بحال من الأحوال • فهو مثبت للمقصور عليه • ومنفى عن جميع من سواه • وهذا هو جوهر القصر الحقيقى كما أنه لا تقع فيه الشركة • والمقصور عليه هذا الوصف لا مانع من وصفه بأوصاف أخرى (٢) • «وأما السر فى تسميته حقيقيا فهو أن التخصيص ضد المشاركة ، وهذا المعنى هو الذى ينافى المشاركة مطلقا • فهو الأولى أن يتخذ حقيقة للتخصيص • فناسب أن يسمى قصرا حقيقيا » • ومن هنا نرى أن التعميم فى النفى هو أساس قوة هذه اساليب ومعدن صدقها •

أما القصر الاضافى : فهو ما كان المنفى فيه موجها الى بعض ما عدا العموم ، أو هو : أن يختص المقصور بالمقصور عليه بالنسبة الى شىء آخر معين • أى بالاضافة اليه • بأن لا يتجاوز المقصور المقصور عليه الى ذلك الشىء المعين • وان أمكن أن يتجوزه الى غيره ومن أمثاته قوله تعالى : « وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد » (٣) فهذا خطاب لمن يعتقدون تعدد الآلهة وفى هذه الآية

---

(١) الأنبياء ٢٥ تفسير البيضاوى ٢/٧٠ ، وابن السعود ٦/٦٣ •
(٢) شروح التلخيص (مواهب الفتاح ، حاشية الدسوقى نقلا عن ابن يعقوب) ٢/١٦٧ •
(٣) النمل ٥١ ـ تفسير البيضاوى ١/٥٥٨ ، أبي السعود ٥/١١٨ •

خص لفظ الجلالة بالذكر • للايذان بأنه متعين الألوهية • وانما المنهى عنه هو الاشراك به ، لا أن المنهى عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض أيهما كان • أى قال الله تعـــالى لجميع المكفين لا تتخذوا الهين اثنين • وانما ذكر العدد مع أن حقيقة التثنية مغنيةعن ذلك دلالة على أن مساق النهى هى الاثنينية وأنها منافية للألوهية كما أن وصف الاله بالوحدة فى قوله تعالى : « انما هو اله واحد » (وهـــو قصر موصوف على صفة) للدلالة على أن المقصود اثبات الوحدانية ، وأنها من لوازم الالهية • وأما الالهية فأمر مسلم الثبوت له سبحانه، واليه أشير حيث أسند اليه القول • ومنه قوله تعالى « وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » (١) أى لا يتبعون الا الظن • وهو قصر موصـــوف على صفة فقد أثبت لهم اتباع الظن ونفى عنهم اتبـــاع طريق الحق • وقوله « وان هم الا يخرصون » قصر لهم على صفة الخرص • وهى التخمين والظن • ونفى عنهم التحقيق والصدق ، ووصفهم القـــرآن بذلك لأنهم ظنوا أن آباءهم كانوا على الحق • أو جهالاتهم ، وآراؤهم الفاسدة • فان الظن يطلق على ما يقابل العلم ، وان هم الا يخرصون. أى يكذبون على الله سبحانه وتعالى فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد • وجعل عبادة الأوثان وصلة اليه ، وتحليل الميتة ، وتحريم البحائر • أو يقدرون أنهم على شىء • وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين •

أما قوله تعالى : « قل لا أجد فيما أوحى الى محـــرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير ، فانه رجس

---

(١) الأنعام ١١٦ • تفسير البيضاوى ٣٢٨/١ . تفسير الفخر الرازى (المسمى بالتفسير الكبير) ١٦٣/١٣ ، أبى السعود ١١٨/٥ •

أو فسقا أهل لغير الله به (١) فالشافعي يرى أنه لا قصر فى هذه الآية، ولكن الغرض منها المضارة ، ونقل السيوطي عن الشافعى ما معناه (٢) « ان الكفار لما حرموا ما أحل الله ، وأحلوا ما حرم الله ، وكانوا على المضارة والمحادة • فجاءت الآية مناقضة لغرضهم،فكأنه قال : لا حلال الا ما حرمتموه • ولا حرام الا ما أحللتموه • نازلا منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة • فتقول : لا آكل اليوم الا الحلاوة • والغرض المضادة • لا النفى والاثبات على الحقيقة • فكأنه قال : لا حرام الا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به • ولم يقصد حل ما وراءه • اذ القصد اثبات التحريم لا اثبات الحل » قال امام الحرمين : وهذا فى غاية الحسن • ولولا سبق الشافعى الى ذلك لما كنا نستجير مخالفة مالك فى حصر المحرمات فيما ذكرته الآية. ويذهب قطب الدين الرازى (٣) (٧١٠ هـ) الى ما ذهب اليه الشافعى موافقا الزمخشرى (٤) والرازى (٥) قائلا : « ••• أن الآية وان دلت على الحصر الا أنها تخصها بالاختيار • قال الامام «الرازى» هذا ليس من باب التخصيص • بل هذا صريح النسخ لأنها لما كان معناها أن لا محرم سوى الأربعة • فاثبات محرم آخر قول بأن الأمر ليس كذلك ، وهو رفع للحصر • ونسخ القرآن بخبر غير الواحد جائز •

« **أقول** » : لا معنى للحصر هنا الا أن الأربعة محرمة ، وما عداها ليس بمحرم • وهذا عام ، واثبات محرم آخر تخصيص

---

(١) الأنعام ١٤٥ •

(٢) الاتقان فى علوم القرآن ١/١٠٩ ، ١١٠ ط الهيئة المصرية •

(٣) حاشية قطب الدين الرازى على الكشاف ت د• أيوب عبد العزيز دكتوراه • مخطوط بكلية اللغة العربية • جـ٢ / ٢٠١ الكشاف ٢/٥٧ ،

(٥) التفسير الكبير ١٣/٢٢١ ، ٢٢٢

لهذا العام ، وتخصيص العام بخبر الواحد جائز » (١) وفى هـذه الآية (٢) يخبرهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن مدرك التحريم انما هو بالوحى من الله تعالى ، وبشرعه لا بما لا تهوى الانفس ، وما تخلقه على الله تعالى ، وجاء الترتيب هنا كالترتيب الذى فى سورة البقرة فى قوله تعالى : « انما حرم عليكم الميتة ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله » (٣) والمائدة فى قوله « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » (٤) وجاء هنا بهذه المحرمات منكرة ، والدم موصوفا بقوله «مسفوحا» الفسق موصوفا بقوله : « أهل لغير الله » وفى تلك السورتين معرفة . لأن هذه السورة مكية فعلق بالتنكير ، وتانك السورتان مدنيتان فجاءت تلك الأسماء معارف بالعهد حوالة على ما سبق تنزيله فى هذه السورة . ثم يقول : « وينبغى أن يفهم هذا النسخ بأنه نسخ الحصر فقط .

هذا : وفى باب معرفة أسباب النزول (٥) ذكر السيوطى أن منها توهم ارادة الحصر مستدلا بهذه الآية . وفى حديثه عن الحصر والاختصاص قال (٦) : « ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقيا « لا اله الا الله » (٧) .

---

(١) ينظر روح المعانى . الألوسى . فقد نقل ما قاله القطب الرازى ٤٦/٨ ط بيروت .

(٢) البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان ٢٤٠/٤ ، ٢٤١ الدر اللقيط من البحر المحيط لتاج الدين الحنفى . هامش البحر المحيط ٢٤٠/٤ ، ٢٤١ .

(٣) البقرة ـ ١٧٣ .
(٤) المائدة ـ ٣ .
(٥) الاتقان ١٠٧/١ .
(٦) د. الله ١٦٦/٢ .
(٧) محمد عليه السلام ـ ١٩ .

ومثاله مجازيا : وذكر تلك الآية « قل لا أجـد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة ... » الآية .

وعلى هذا فالقصر غير مقصود فى هذه الآية . وانما المقصود منه هو المضادة والمحادة التى كانوا عليها فجاءت تلك الآية ناقضة لأهوائهم مشهرة بهم .

وسمى هذا القصر اضافيا لأن التخصيص فيه بالاضـــافة الى معين (١) .

ولقد اعترض الخطيب القزوينى على السكاكى باهمـاله القصر الحقيقى (٢) .

ولكن السعد تناول ذلك بالرد قائلا : « ولما لم يصرح صـاحب المفتاح بتقسيمه الى الحقيقى وغير الحقيقى لقلة جدواه ، توهم المصنف أنه أهمل ذكر الحقيقى وليس كذلك » (٣) وكلام سـعد الدين فيـه قضيتان :

الأولى : قلة جدوى القصر الحقيقى .

الثانية : أن السكاكى لم يهمل القصر الحقيقى .

---

(١) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ١٦٧/٢ .

(٢) بغية الايضاح ٧/٢ .

(٣) المطول على التلخيص سـعد الدين التفتازانى ٢٠٤ طبع تركيا ١٣٣٠هـ .

أما الأولى : فقد وافقه فيها عبد الحكيم (١) اذ يقـول : « لأن جدوى التقسيم • تحصيل الأقسام لتبيين أحكامها • وليس فى هـذا الفن للقصر الحقيقى أقسام سوى أنه لا يكون لرد اعتقاد المخـاطب وأنه يكون تحقيقيا وادعائيا • بخلاف القصر الغـير حقيقى ، فان المذكورات كلها أحكامه • فليس فى جدوى الحقيقى الا هذا ، ورفـع توهم انحصار القصر فى غير الحقيقى ، وذلك قليل الجدوى ، فيـكون التصريح بالتقسيم أيضا قليل الجدوى ، فالضـمير فى جـدواه اما للتصريح بالتقسيم • أو للقصر الحقيقى • ومآلهما واحد » (٢) •

وفى الحقيقة ان ما ذهب اليه سعد الدين ، ووافقه عليه عبدالحكيم من أن القصر الحقيقى قليل الجدوى • انما هو لقلة أقسامه بالنسـبة للقصر الاضافى • أما قيمته البيانية • فلا ينكرها أحد • اذ أن كلمـة القصر حينما تطلق لا تنصرف الا الى القصر الحقيقى•يؤيد ذلك أنك اذا تدبرت قوله تعالى : « والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسـهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفـر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » (١) وجدت هذه الآية تتحدث عن التوابين الذين اذا فعلوا فعلة فاحشة • أى معصية أو ظلموا أنفسهم باقتراف ذنب من الذنوب ذكروا وعد الله ووعيده فطلبوا المغفرة لذنبهم من الله • وقوله : « من يغفر الذنب الا الله » أسـلوب قصر • قصر مغفرة الذنوب (صفة) على اسم الجلالة (موصوف) قصرا حقيقيا تحقيقيا وكان طريقه التقى والاستثناء • لأن الاسـتفهام بمن بمعنى

---

(١) حاشية السيالكوتى /٣٥٤ •

(٢) وذهب العصام الى ذلك اذ يقول : « ولا بأس باهمال مالا يتعلق به غرض كلى فى البلاغة » الأطول ١/٢١٦ •

(٣) آل عمران /١٣٥ •

المتقى • والتعبير بالاستفهام فى مكان النفى يحرك المشاعر ، ويفيد الانكار مع ما يتضمنه من الدلالة على أنه المختص بذلك سبحانه دون غيره • أى لا يغفر جنس الذنوب أحد الا الله ، وهذا الأسلوب تحس فيه الترغيب لطلب المغفرة من الله عز وجل ، والدعوة الجادة للمذنبين أن يقفوا فى مواقف الخضوع والتذلل لخالقهم تطهيرا لنفوسهم ، وطمعا فى التوبة والمغفرات •

فقوة هذا التعبير انما كانت كذلك باعتبار القصر فيه حقيقيا يؤيد ما ذهبت اليه قول العلامة السيد الشريف (١) « واظاهر أن تخصيص الشىء بالشىء على معنى أنه لا يتجاوزه الى غيره أصلا انما يسمى قصرا وتخصيصا حقيقيا • لأنه حقيقة التخصيص المنافية للاشتراك وذلك يتبادر هذا المعنى عند اطلاق التخصيص وما فى معناه •

وأما تخصيص الشىء بآخر على معنى أنه لا يتجاوزه الى بعض ما عداه فهو معنى مجازى للتخصيص غير منافٍ للاشتراك • ولذلك يحتاج فى فهمه من لفظ التخصيص الى قرينة ويسمى تخصيصا غير حقيقى •

أما دفاع سعد الدين عن السكاكى فى أنه لم يهمل القصر الحقيقى فيقول : قال السكاكى : (٢) : « وحاصل معنى القصر راجع الى تخصيص الموصوف بوصفه دون ثان ، أو بوصف مكان آخر ، أو الى تخصيص الوصف بموصوف دون ثان ، أو بموصوف مكان آخر » وهذا التفسير شامل للحقيقى وغيره • لأن المراد بقوله ثان وآخر • ما يصدق

---

(١) حاشية السيد على المطول ٢٠٤ •

(٢) المطول ٢٠٤ • المفتاح ١٥٦ •

عليه أنه ثان أو آخر أعم من أن يكون واحدا او أكثر الى ما لا نهاية له. اذ لو أريد الواحد لخرج عنه كثير من أمثلة غير الحقيقى أيضا كقولك: ما زيد الا كاتب • لمن اعتقد أنه شاعر وكاتب ومنجم وكقولك ما شاعر الا زيد • لمن اعتقد أن زيدا وبكرا وخالدا شـــعراء » فهذا منشأ توهم التفسير بغير الحقيقى ، وقد أورد الأمثلة فى أثناء هذا التفسير من غير الحقيقى اعتبارا لكثرة الوقوع • واحترازا عن وصمة الكذب • وكلامه لا يخلو عن أمثلة هى ظاهرة فى الحقيقى مثل : زيد شاعر لا غير وليس غير • وليس الا • ومنن • ما ضرب عمرا الا زيد • وما ضرب زيد الا عمرا • واذا تأملت وجدته مشيرا الى نفس التقسيم حيث قال: « متى أدخلت النفى على الوصف المسلم ثبوته وقلت : ما شاعر :توجه النفى بحكم العقل الى ثبوته للمدعى له ان كان عاما كقولك : فى الدنيا شعراء • أو فى قبيلة كذا شعراء • وان كان خاصا كقولك : زيد وعمرو شاعران فيتناول النفى ثبوته لذلك • فمتى قلت : الا زيد : أفـــاد القصر » •

ذلك هو دفاع السعد عن السكاكى •

ولكننا اذا رجعنا الى المفتاح وجدناه يقول : (١) « وحاصل معنى القصر راجع الى تخصيص الموصوف عند الســـامع بوصف دون ثان كقولك : زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده شاعرا لا منجما ••• »

ومعنى ذلك أنه يتحدث عن القصر الاضـافى وفـروعه لا عن الحقيقـى •

---

(١) المفتاح ١٣٩ •

يقول العصام : (١) « ان المفتاح قيد التعريف بما يخرج الحقيقى حيث قال : هو تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان • فاعتبر اعتقاد السامع تمييزا له عن الحقيقى اذ لا يعتبر فيه اعتقاد السامع ووافقه السيد السند حيث قال : لو لم يكن فى تعريف المفتاح قوله عند السامع لجعلته شاملا للقصر الحقيقى » •

ولكن السعد غفل عن هذا القيد « وهو قوله : عند السامع » وعرض بالسكاكى وجعل هذا التعريف شاملا للحقيقى والاضافى •فقال شبما ورد فى المفتاح « بدون ــ عند السامع ــ » « هو تعريف بالأعم • اذ ليس المقصود منه التمييز عن الحقيقى • بل تعريف تفريع التقسيم الى قصر الأفراد والقلب والتعين عليه » ولكن يرى العصام أن هذا المذهب بعيد مناقض لما ذهب اليه القزوينى اذ أنه صرح فى الايضاح بأن السكاكى أهمل القصر الحقيقى فلو كان عنده أن التعريف يشمله لما حكم عليه بالاهمال » (٢) •

وفى الحقيقة أن دفاع السعد لا أصل له اذ أن الخطيب حينما رأى صاحب المفتاح لم يتحدث عن القصر الحقيقى نبه الى ذلك • كما نبه الى أنه أدخل قصر التعيين فى قصر الأفراد» (٣) يقول العصام : « (٤) ولهذا أسقط المصنف قول السكاكى (عند السامع) عن تعريفه اعتمادا على اتساق الذهن اليه من باقى التعريف •• ولما لم يقيد السكاكى القصر فى مقام التعريف بهذا التعريف بغير الحقيقى • وكان كلامه موهما أنه يعرف مطلق القصر ، وتنبه المصنف أنه تعريف

---

(١) الأطول ١/٢١٥ ، ٢١٦ •
(٢) المطول ٢٠٧ •
(٣) بغية الايضاح ٢/٧ ، ٨ •
(٤) الأطول ١/٢١٦

لغير الحقيقى ، وعرف غير الحقيقى به ، استشعر أن يقال : تعريفه لمطلق القصر حيث عرف السكاكى به مطلق القصر • فدفعه فى الايضاح بأن السكاكى أهمل القصر الحقيقى دفعا لما يتجه عليه لا تعرضا به •• وظنه الشارح اعتراضا على السكاكى • ورفعه بأنه داخل فى تعريفه »•

« تقسيم القصر باعتبار طرفيه أو باعتبار حال المقصور » علت ان القصر عند جمهور البلاغيين هوتخصيص شى بشىء بطريق مخصوص• وقلت ان المراد من قولهم تخصيص شىء بشىء : تخصيص موصوف بصفة أو صفة بموصوف • وقلت أيضا : ان القصر ينقسم باعتبار غرض المتكلم الى حقيقى واضافى •

وعلى ذلك فكل من القصر الحقيقى والاضافى يكون قصر صفة على موصوف ، أو قصر موصوف على صفة • فالأقسام أربعة :

الأول : قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا : (١) وهذا بتحقق بألا تتجاوز هذه الصفة ذلك الموصوف الى موصوف آخر مطلقا • وان كان الموصوف يتجاوزها الى غيرها » كقوله تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله (٢) » « فالله تعالى قد استثنى نفسه ممن فى السموات والأرض بصيغة فى بمعنى المجاز لا بمعنى الحقيقة اللغوية » • (٣) وان كان العز بن عبد السلام (٤)

---

(١) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/١٦٩ •
(٢) النمل ٦٥ •
(٣) الاستغناء فى أحكام الاستثناء ـ شهاب الدين القرافى ٣٤٧ ت د• طه محسن ط بغداد ١٩٨٢ •
(٤) ذاته ٤٣٥ •

رضى الله عنه يرى أن لفظ (فى) يستعمل فى حقيقته ومجازه فيكون من باب المتضمين والله تعالى : يصدق أنه فى السموات والارض بعلمه كما قال تعالى : « وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله » (١) ففى الآية السابقة نجد أن صفة (٢) علم الغيب مقصورة على الله تعالى . ولا تتجاوزه الى غيره بحال من الأحوال ، ومن ثم فهذا القصر حقيقى وواضح أن لله تعالى صفات كثيرة غير تلك الصفة • وكقوله تعالى : « ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون » (٣) قصرت صفة الكفر على الفاسقين • ومن المعلوم أن الكفر لا يتجاوز الفاسقين الى غيرهم من الناس • وان كانت لهم صفات غير تلك •

والمراد بالفاسقين هنا : الكافرون • لأن كفر آيات الله تعالى هو من باب فسق العقائد ، لا من باب فسق الأفعال • وقال الحسن : اذا استعمل الفسق فى شىء من المعاصى وقع على أعظمه من كفر أو غيره » واللام فى الفاسقون « للجنس » (٤) فكأنه قيل : وما يكفر بها الا المبالغ فى كفره المنتهى فيه الى أقصى غاية ••

★★★

الثانى : قصر الصفة الموصوف قصرا اضافيا : وهذا يتحقق بألا تتجاوز هذه الصفة ذلك الموصوف الى موصوف آخر معين •

---

(١) الزخرف ٨٤ •

(٢) البحر المحيط ٩١/٧ •

(٣) البقرة ٩٩ • البحر المحيط ٣٢٣/١ ، تفسير أبى السعود ١٣٤/١ ، ١٣٥ •

(٤) تفسير النسفى • عبد الله بن أحمد محمود النسفى ٦٥/١ ط عيسى الحلبى •

مستمد ، أو متعدد ، وان كانت هى تتجاوزه الى غير ذلك المعين » (١) وذلك كأن يعتقد المخاطب أن الشعر وصف لعلى فقط ، أو لعلى وخالد فتقول : ما شاعر الا خالد • فتقصر الشعر على خالد بحيث لا يتعداه الى على فقط • وان كان يتعدى الى غير على • ومعلوم أن هذا أيضا لا يقتضى كون الموصوف مقصورا على صفة الشعر بل يجوز أن يتعداه الى صفة الكتابة ونحوها » ومن التنزيل قوله تعالى : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » (٢) •

وجه النظم أن الله تعالى : لما نهى المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » (٣) بين هنا من هو وليهم وهو الله ورسوله والولى هو الناصر ، أو المتولى الأمر ، أو المحب ، المعنى ، لا ولى لكم الا الله • وقال « وليكم » بالافراد • ولم يقل أولياؤكم • وان كان المخبر به متعددا : لأن « وليا » اسم جنس أو لأن الولاية حقيقة هى لله تعالى على سبيل التأصيل ، ثم نظم فى سلكه من ذكر على سبيل المتبع • ولو جاء جمعا لم تتبين هذا المعنى من الأصالة والتبعية •

ففى هذه الآية قصر ولاية المؤمنين على الله ورسوله والذين آمنوا دون اليهود والنصارى •

★ ★ ★

---

(١) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/١٦٩ •

(٢) المائدة ـ ٥٥ • تفسير الرازى ١٢/٢٥ ، البيضاوى ١/٣٧٩ ، البحر المحيط ٣/٥١٣ •

(٣) المائدة ـ ٥٢ •

الثالث : قصر الموصوف على صفة قصرا حقيقيا : « ويتحقق (١) بالا يتجاوز فيه الموصوف تلك الصفة الى أية صفة اخرى أصلا » كقوله تعالى : « ما ننزل الملائكة الا بالحق » (٢) « أى مصحوبين بالحق فالمجرور معمول للحال المحذوفة المستثناه من الأحوال لتعينها لهذا الفعل دون غيرها من الأحوال » فقد قصر التنزيل للملائكة (موصوف) على كونه بالحق (صفة) وقوله تعالى : «ان هو الا وحى يوحى» (٣) أى ما هو الا وحى يوحيه الله اليه • فقد قصر ما ينطق به سيدنا رسول الله من القرآن (موصوف) على كونه وحيا (صفة) • وهذه الآية رد على انكارهم البالغ لهذا الأمر ، ونفى لكل ما عداه • نفى لأن يكون نطقا عن الهوى كما توهموا ؛ ونفى لأن يكون أساطير الأولين كما ادعوا « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا» (٤) ونفى لأن يكون شعرا كما زعموا وما علمناه الشعر ما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين (٥) » • ووصف الوحى بقوله (يوحى) تأكيد آخر لرفع احتمال المجاز لأن الانسان قد يتجوز فى وصف كلام ما • ويبالغ فى ذلك قائلا : كلام فلان وحى • فاذا قال يوحى زال قصد المجاز أو المبالغة • واختيار صيغة المضارع للاشارة الى تجدد حدوث هذا الوحى وقتا بعد وقت على حسب المناسبات والأحوال »

هذا : وقد مثل الخطيب (٦) لهذا النوع بقوله : « والأول من الحقيقى كقولك ما زيد الا كاتب • اذا أردت أنه لا يتصف بغير الكتابة

---

(١) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/١٦٨ •
(٢) الحجر ٨ ــ الاستغناء فى أحكام الاستثناء ٦٤٤ •
(٣) النجم ٤ ــ تفسير أبى السعود ٨/١٥٥ •
(٤) الفرقان ٥ • (٥) يس ٦٩ •
(٦) الايضاح • شرح وتعليق د• محمد عبد المنعم خفاجى ٣/٩ مكتبة الحسين التجارية ط الأولى ١٣٦٨ •

ثم عقب عليه قائلا : « وهذا لا يكاد يوجد فى الكلام لأنه ما من مقصور الا وتكون له صفات تتعذر الاحاطة بها أو تتعسر » وقد مثل البلاغيون لهـــذا النوع بقولهم : « ما الله الا كامل (١) أو قولهم « انما الله تعالى متصف بكل كمال منزه عن كل نقص (٢) . وذلك مقولة الخطيب السابقة سببا فى تواكب أصحاب المقولات المنطقية والتعليلات الفلسفية عليها بالتحليل ، والتعليل ، فيقول السعد : « أن هذا النوع من القصر ممض الى المحال ، لأن للصفة المنفية نقيضا ابتة ، وهو أيضـــا من الصفات . فاذا نفيت جميع الصفات لزم ارتفاع النقيضين . مثلا اذا قلت : ما زيد الا كاتب على معنى أنه لا يتصف بغيرها ، لزم ألا يتصف بالشاعرية ، ولا بعدمها ، وهو محال اللهـم الا أن يراد الصـــفات الوجودية . (٣) أما العصام فقد عقب على قول الخطيب «لايكاد يوجد» بقوله : (٤) مبالغة فى نفى جوده . والمـراد : اما : نفى وجـوده فى نفس الأمر حتى يكون نفيا لصدق هذا القصر . فلا ينافى تقســـيم الحقيقى اليه ، لأنه يكفى للتقسيم وجود الكاذب منه على أنه لا كلام فى وجود الادعائى منه . واما نفى لوجده فى ما بين التراكيب . وحينئذ التعويل فى التقسيم على ما يقصد به المبالغة . ووجه تعذر الاحـاطة الكثيرة ، وخفاء الكثير ، بحيث لا يعلمها الا العليم الخبير » .

أما ابن يعقوب فقد علل قول الخطيب السابق بقوله : «(٥) وانما تعذرت الاحاطة بالأوصاف لما علم أن العاقل لا يحيط بأوصاف نفســه

---

(١) علوم البلاغة احمد المراغى ص ١٦٠ المطبعة ط السادسة .
(٢) بغية الايضاح المرحـوم عبد المتعال الصـــعيدى ٤/٢ ط مصبح ١٩٦٠ ط السادسة .
(٣) المطول ٢٠٦ . (٤) الأطول ٢١٦/١ .
(٥) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ١٧٢/٢ .

ولاسيما الباطنية والاعتبارية فكيف بأوصاف غيره ؟ كما فسر قول الخطيب « لا يكاد يوجد » قائلا : ان وجود معناه محال • وبيان الاستحالة : أن المحصور اما أن يكون موجودا أو معدوما • فان كان موجودا فنفى وجوده ، ووجوبه ، وامكانه ، وغيريته لما سواه محال• وان كان معدوما فنفى عدمه ، وامكانه ، واستحالته وغيريته لما سواه محال •

أما الدسوقى فيرد على ماذهب اليه ابن يعقوب مقرا بصحة هذا النوع من القصر قائلا : « (١) لا يقال المراد من قولنا مازيد الا كاتب» نفى اتصافه بغير الكتابة من الصفات الوجودية • والنقيض أمر عدمى وحينئذ فلا يكون اثبات صفة ونفى ما عداها محالا • لأنا نقول الكلام فى الحقيقى • وهو لا يتصور الا بنفى كل ما هو غير المثبت • فعلى فرض • أو أريد نفى الصفات الوجودية • انما يلزم عدم ارتفاع النقيضين • لا صحة القصر الحقيقى • على أن قصد الأوصاف الوجودية فقط لو سلمنا كونه عذرا لم يندفع به ما ذكر • اذ من الصفات الوجودية ما يستلزم احداهما عين الأخرى كحركة الجسم وسكونه ، فيلزم ذلك المحال قطعا • اذ من جملة المنفيات الحركة ، فيلزم ثبوت السكون عند انتفائها ، ولا يتأتى نفيهما معا • لمساواة كل منهما نقيض الآخر •

وبعد هذا الخوض فى غمار المنطق والفلسفة ترى أن الخطيب القزوينى عندما مثل اقصر الصفة على الموصوف بقوله : « ما فى الدار الا زيد » قد فتح لهم باب الاقرار بوجود قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا •

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقي) ١٧٣/٢ .

يقول ابن يعقوب : « (١) فان لفظ الدار • ان أريد به دار معينة: صح أن تحصر هذه الصفة • وهو الكون فيها فى زيد بحيث لا يكون فيها غيره أصلا « وانما قلنا معينة : لأنه لو أريد مطلق الدار ، لم يتأت عادة حصر الكون فى مطلق الدار فى زيد • اذ لابد من كون غير زيد فى دارما • وورد على هذا المثال ، أن الكون فى الدار المعينة لا ينحصر فى زيد • لأن الهواء الذي لا يخلو منه فراغ عادة كائن فى الدار •فان أريد نفى الكون عن نوع زيد بأن يكون التقدير ما فى الدار انسان أو أحد الا زيد ، ليقع الاستثناء متصلا قريب الجنس ، لزم صحة هذا فى قصر الموصوف على الصفة الذى جعل متعذرا أو محالا • اذ يصح قولك : ما هذا الثوب الا أبيض • بتقدير أنه لا يتصف بشيء من الألوان غير البياض • وهذا يعنى أن النفى هنا عام وليس محدودا • أى أنه ليست هناك صفات معينة مجدودة حتى يكون قصرا اضافيا •

ولقد سبقهم الى ذلك الامام عبد القاهر وقرر هذا،وقد استرشد بقوله الخطيب عندما مثل لهذا النوع بقوله : مازيد الا كاتب •ولكنه حينما عقب على ذلك قائلا : « وهذا لا يكاد ••• » أم يكن موفقا اذ أنه ليس المراد الاحاطة بكل الصفات • حتى شغل وراءه من شغل بهذه العبارة • وانما المراد اطلاق النفى ليشمل ما يرد فى الخاطر من هذا الشأن • فقوله ما زيد الا كاتب • نفى ما هو من الكتابة بسبيل كالفقه ، والشعر ، والخطابة ، والنحو لا كونه أبيض أو أسود ، أو أصفر ، أو أحمر • ولله در عبد القاهر اذ يقول :

« (٢) وأعلم أنه اذا كان الكلام بما والا : كان الذى ذكرته من أن الاختصاص يكون فى الخبر ان لم تقدمه ، وفى المبتدأ ان قدمت

---

(١) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ١٧٣/٢ .
(٢) دلائل الاعجاز ٣٤٦ .

الخبر أوضح وأبين • تقول : ما زيد الا قائم • فيكون المعنى : أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التى يتوهم كون زيد عليها بجعلـه صفة له • وتقول : ما قام الا زيد : فيكون المعنى : أنك اختصصـت زيدا بكونه موصوفا بالقيام • فقد قصرت فى الأول الصفة على الموصوف وفى الثانى : الموصوف على الصفة ، اعلم أن قولنا فى الخبر ان أخر نحو، ما زيد الا قائم ، أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التى يتوهم كون زيد عليها ، ونفيت ما عدا القيام عنه • فانمـا تعنى أنك نفيت الأوصاف التى تنافى القيام • نحو أن يكون جالسا ، أو مضطجعا، أو متكئا ، أو ما شاكل ذلك ولم ترد أنك نفيت ما ليس من القيام بسبيل•• اذ لسنا ننفى عنه بقولنا : ما هو الا قائم : أن يكون أسود ، أو أبيض، أو طويلا أو قصيرا ، أو عالما أو جاهلا ، كما أنا اذا قلنا : ما قائم الازيد لم ترد أنه ليس فى الدنيا قائم سواه ، وانما نعنى : ما قائم حيث نحن، وبحضرتنا وما أشبه ذلك » •

★ ★ ★

الرابع : قصر الموصوف على الصفة قصرا اضافيا : « ويتحقق بألا يتجاوز فيه الموصوف تلك الصفة الى صفة أخـرى معينـة » كقولك : ما على الا خطيب • فتقصر عليا على الخطابة ، بحيث لا يتعداها الى شىء آخر معين كالكتابة مثلا » ومنه فى التنزيل قوله تعـالى : أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين (١) » ففى هذه الآية قصر الضمير العائد على صاحبهم وهو النبى صلى الله عليه وسلم ــ على صفة الانذار والابانة دون ما عداها من تلك الصفات •

---

(١) الأعراف ١٨٤ • تفسير أبى السعود ٣/١٩٨ ، حاشية الصاوى على الجلالين ٢/٩٦ ط الحلبى •

وهذا كلام مبتدأ سوق لانكار عدم تفكرهم فى شأنه صلى الله عليه وسلم ، وجهلهم بحقيقة حالة الموجبة للايمان به وبما أنزل عليه من الآيات التى كذبوا بها • والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ • والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للايذان بأن طول مصاحبتهم له مما يطلعهم على نزاهته صلى الله عليه وسلم عن شائبة ما ذكر • ففيه تأكيد للنكير ، وتشديد له » •

القصر الحقيقى بين التحقيق والادعاء

١ ــ القصر الحقيقى الذى يختص فيه المقصور بالمقصور عليه ، ولا يجاوزه الى غيره أصلا • ان كان الأمر فيه كذلك سمى حقيقيا تحقيقيا •

وقد أزجيت كثيرا من شواهد هذا الضرب عند تقسيم القصر باعتبار طرفيه • ومن أمثلته أيضا قوله تعالى : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى » (١) فقد أكد صلى الله عليه وسلم اتباعه على الوحى ، وأنه لا يتعدى ذلك الى غيره • قصر صفة على موصوف • وجاء النفى فى هذه الآية على سبيل الترقى ، فنفى أولا ما يتعلق به رغبات الناس أجمعين من الأرزاق التى هى قوام الحياة الجسمانية ، ثم نفى ثانيا ما يتعلق به ، وتتشوف اليه النفوس الفاضلة ، من معرفة ما يجهلون • وتعرف ما يقع من الكوائن • ثم نفى ثالثا ما هو مختص بذاته من صفات الملائكة التى هى مباينة لصفات البشرية • فترقى فى النفى من عام الى خاص الى أخص • ثم حصر ما هو عليه فى أحواله كلها بقوله « ان أتبع الى ما يوحى الى » أى أنا متبع ما أوحى الى غير شارع شيئا من جهتى

---

(١) الأنعام ٥٠ ــ البحر المحيط ٤/١٣٤ .

ومنه قوله تعالى : فى قصر الموصوف على الصفة : « ولله ما فى السموات وما فى الأرض والى الله ترجع الأمور (١) » فقوله تعالى : و لله ما فى السموات وما فى الأرض : قصر ما فى السموات ومـا فى الأرض (موصوف) على الجار والمجرور « لله » صفة قصرا حقيقيـا تحقيقيا • وقوله والى الله ترجع الأمور : قصر رجوع الأمر (موصوف) على الجار والمجرور (الله) صفة : قصرا حقيقيا تحقيقا أى لله تعالى ما فى السموات وما فى الأرض وحـده من غير شركة أصـلا • والى حكمه لا الى غيره ترجع أمورهم فيجازيهم على أعمالهم •

★ ★ ★

٢ ــ أما اذا كان نفى المقصور عما سوى المقصور عليه بطريق العموم ليس كذلك فى الحقيقة ونفس الأمر ، وانما هو ادعاء ومبالغة، فعند ذلك يسمى القصر حقيقيا ، غير تحقيقى • أو حقيقيا مبالغة (٢) وادعاء وحينئذ ينظر فيه الى أن غير المقصور عليه عام • وان شاركه فى المقصور ، الا أن هذه المشاركة تنزل منزلة العدم • وذلك كقـول الشـاعر :

لا سـيف الا ذو الفقـا رو لا فتى الا عـلى

فهذا مبنى على عدم الاعتداد بسيف سوى ذى الفقار ، ولا بفتى سوى الامام على بن أبى طالب • ومراد الشاعر ادعاء أن حقيقـة وصف السيف لا تجاوز ذا الفقار أصلا • كما أن حقيقـة الفتـوة المحمودة لا تجاوز عليا بطريق العموم • ولكن اذا نظرنا الى واقـع

---

(١) آل عمران ١٠٩ ــ تفسير أبى السعود ٢/٧٠ •

(٢) شروح التلخيص (شرح السعد) ٢/١٧٤ ، (مواهب الفتـاح) ٢/١٦٩ ، المطول ٢٠٦ •

الناس وجدنا سيوفا كثيرة ، ووجدنا كذلك كثيرين يتصفون بصـــفة الفتوة • ولكن الشاعر كما قلت نزل من عدا المقصور عليه منزلة العدم•

وسمى هذا النوع حقيقيا باعتبار عموم نفى المقصور عما سوى المقصور عليه ، وادعائيا « غير تحقيقى » لأن مبناه المبالغة والادعاء ومنه فى قصر الصفة على الموصوف ايضا قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء (١) » برفع العلماء • اى انه لا يخشى الله الا العلماء • فقد قصرت الآية صفة الخشية لله على العلماء قصر صـــفة على موصوف قصرا حقيقيا ادعائيا • لأن غيرهم قد يخشاه • ولكـــن لا اعتداد بخشيته فهى بمنزلة العدم ومن قصر الموصوف على الصفة : قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصـــاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (٢)فقد قصرت هذه الاشياء على صفة الرجس قصرا مجـــازيا بادعاء أن ليس لها صفة سواها • مبالغة فى أن هذه الصفة أفحش الصفات فيها • وأن ما عداها من الصفات لا يعتد به بالقياس اليها • وفى الحقيقة أن هناك ما وصف بالرجس غير ذلك فى قوله تعالى « قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة ••• الآية (٣)

ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجـــل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » • فقوله صلى الله عليه وســـلم « لا حسد الا فى اثنين » من القصر الحقيقى الادعائى • حيث قصر

---

(١) فاطر ٢٨ • تفسير أبى السعود ٧/١٥١ •
(٢) المائدة ٩٠ •
(٣) الأنعام ١٤٥ •

فيه « الحسد » بمعنى الغبطة » موصوف على الكون فى اثنين صفة • وكان ادعائيا • لأن الحسد بمعنى الغبطة يكون فى غير الاثنين • فنزل غيرهما منزلة العدم على سبيل الادعاء •

هذا : وقد جعل السبكى هذا النوع من مجاز التراكيب يقـــول الدسوقى : (١) وفى العروس أنه من مجاز التراكيب • لأنه اذا قيل : لا عالم فى البلد الا زيد على وجه حصر العالم فيه ، ونفيه عن غيره لعدم الاعتداد بالعلم فى ذلك الغير • فنفى العلم عن غير زيد الذى تضمنـــه هذا الحصر ليس كذلك فى نفس الأمر • وانما نسب ذلك النفى الى الغير لكونه بمنزلة المتصف بالنفى لضعف الاثبات فيه ، ونسبة الشىء لغـــير من هو له : مجاز تركيبى • يقول الدسوقى مفرقا بينـــه وبين القصر الاضافى : « انما (٢) يتميز عن المجاز الافرادى • وهو مشـــتمل على المجاز التركيبى • فقولك : ما زيد الا قائم دل على سلب جميع الصفات غير القيام على سبيل المجاز الحاصل من مجموع الكلام • وان كانت مفردات هذا التركيب حقائق •

★ ★ ★

القصر الاضافى بين التحقيق والادعاء :

أسلفت أن القصر الاضافى ــ كما ارتضى السعد هذه التسمية ، أو القصر المجازى كما قال السبكى (٣) • والسيد الشريف ــ هو ماكان

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/١٧٤ •

(٢) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ٢/١٧٠ •

(٣) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ٢/١٦٦ ، حاشية السيد على المطول ٢٠٤ •

القصر فيه بالاضافة الى شيء مخصوص لا الى جميع ما عدا المقصور عليه • بمعنى أن النفى فيه موجه الى بعض ما عدا المقصور عليه وعلى ذلك •

١ ــ فان كان هذا المعنى متحققا فى الواقع ونفس الأمر • كان القصر اضافيا تحقيقيا • كقولنا : ما على الا شاعر • فقد قصرنا عليا على صفة الشعر لا يتعداها الى صفة آخرى معينة هى كونه تاجرا • أما سبب تسميته حقيقيا : فالحقيقة والواقع يؤيدان ذلك • وأما تسميته اضافيا : فكونه تاجرا ليست كل الصفات المنفية وانما هى بعضها ومنه فى قصر الموصوف على الصفة قوله تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » (١) فانه عليه الصلاة والسلام لا يتعدى الرسالة الى الخلود فى الدنيا • وتلك حقيقة واقعة يعرفها كل عاقل • ولهذا كان القصر الاضافى فى هنا تحقيقيا •

ومنه فى قصر الصفة على الموصوف : لا جواد الا على • فان الجود هنا مقصور على « على » بالنسبة الى شخص آخر كأحمد مثلا •

٢ ــ أما اذا كان المقصور منفيا عن غير المقصور عليه ، ولكن هذا النفى ظاهرى فقط • أى على سبيل الادعاء والمبالغة فذلك هو القصر الاضافى الادعائى ــ كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ليس الشديد بالصرعة ، وانما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » (٢)• قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشدة على من يملك نفسه عند الغضب • قصر صفة على موصوف وقصر الشدة عند الغضب منظور فيه الصرعة • لأن الغرض أن الشدة لا تكون للصرعة • فلم تنف الشدة

---

(١) آل عمران ١٤٤ •

(٢) مذكرات فى الفصل والوصل والقصر • المرحوم الشيخ سليمان نوار ١٥ بتصرف مطبعة العلوم ١٣٥٢ هـ •

عن جميع ما عدا من يملك نفسه عند الغضب • وهذا قصر اضافى لأن المقصور لم يتجاوز المقصور عليه الى بعض معين •وهو هنا الصرعة • الا أن عدم التجاوز الى الصرعة أساسه هنا المبالغة • والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أن الصرعة أيضا شديد • لكنه لم يجعل لشدته قيمة • كقيمة شدة من يملك نفسه عند الغضب وفى قصر الموصوف على الصفة : شوقى شاعر لا العقاد • فأنت فى هذا قد قصرت الشعر على شوقى ، ونفيته عن العقاد • ولكن ليس الأمر كذلك فى الواقع ونفس الأمر • لأن العقاد يقول الشعر أيضا ، ولكنك نزلته فى هذا المجال منزلة من لا يقوله بالنسبة لأمير الشعراء : وهذا اضافى ادعائى وبعد هذا يمكننا أن نفرق بين أقسام ا قصر باعتبار طرفيه (١) •

١ ــ **القصر الحقيقى حقيقة** : ما كان النفى فيه موجها الى جميع ما عدا المقصور عليه بحيث يختص المقصور بالمقصور عليه، ولا يجاوزه الى غيره أصلا •

٢ ــ **القصر الاضافى الحقيقى** : ما يوجه فيه النفى الى ما عدا المقصور عليه فى الحقيقة والواقع •

٣ ــ **القصر الحقيقى الادعائى** : ما توجه فيه النفى الى جميع ما عدا المقصور عليه على سبيل الادعاء والمبالغة « ما عدا المقصور منزل منزلة العدم » •

٤ ــ **القصر الاضافى الادعائى** : ما يوجه فيه النفى الى بعض ما عدا المقصور عليه على سبيل الادعاء والمبالغة • « القصر بالاضافة اليه منزل منزلة العدم » •

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/١٧٤ •

القصر باعتبار المخاطب

اذا كانت الحالة المقتضية للقصر هي أن يكون عند السامع حكم مشوب بصواب وخطأ ، وأنت تريد تقرير صوابه ، ونفى خطئه • واذا كان علماء البلاغة قد قسموا القصر الى حقيقى واضافى وقسموا القصر الاضـــافى ثلاثة أقسام باعتبار حال المخاطب والرد عليه فالحقيقة أن هذا التقسيم بالنسبة للاضافى يؤكد لنا أن معتقد المخاطب أو حاله هو الذى يحدد لنا هذا القسم • وبذلك تكون جملة القصر قـــد استمدت عناصرها منه « بيان ذلك » •

أن معنى الاضافى ــ كما سبق ــ هو كان النفى فيه موجها الى بعض ما عدا المقصور عليه • أى أن المقصور يختص بالمقصـــور عليه بالاضافة الى شىء آخر • ومن ثم لا يجاوز المقصـــور عليه الى ذلك الشيء المعين • وان صح أن يكون لغيره • وهذا يكون فى قصر الموصوف على الصفة كما يكون فى قصر الصفة على الموصوف •• ولما كان جوهره عـــدم التجـــاوز الى ذلك البعض المعين • لكن من الطبعى أن يختلف موقف المخاطب أمام هذا القصر •

فقد يكون المخاطب معتقدا اشتراك المقصور عليه وذلك البعض المعين فى المقصور • وقد يكون معتقدا عكس ما يدل عليه هذا القصر وأن المقصور ليس لهذا المقصور عليه • وانما هو لذلك البعض المعين ؛ قد يكون معتقدا أن المقصور لواحد من المقصور عليه وذلك البعض • قد يكون معتقدا أن المقصور لواحد من المقصور عليه وذلك البعض • ولكنه لم يعين • لهذا كانت أقسام القصر الاضـــافى ثلاثة : افراد ــ قلب ــ تعيين • بدون النظر الى الواقع ونفس الأمر » •

قصر الافراد :

ويكون (١) ذلك بتخصيص شيء بشيء دون شيء آخر قصد الرد المخاطب فى اعتقاده شركة ما بين المقصور عليه وغيره فى المقصور • على معنى أن يعتقد المخاطب شركة صفتين أو أكثر فى موصوف واحد • فى قصر الموصوف على الصفة ، أو شركة موصـــوفين أو أكثر فى قصر الصفة على الموصوف • فالمخاطب بقولنا : ما حسين الا كاتب ــ من يعتقد أنه يحسن الشعر والكتابة • وبقولنا : ما كاتب الا حسين من يعتقد اشتراك حسين وعمر فى الكتابة •

وسمى هذا بقصر الافراد • نظرا (٢) لقطع الشركة التى اعتقدها المخاطب ، وأفردت موصوفا بصفة ، أو صفة بموصوف •

قصر القلب :

ويكون (٣) ذلك بتخصيص شيء مكان شيء ، ويخاطب به من يعتقد عكس الحكم الذى تقيه اياه • وهذا النوع ككل انواع القصر • يكون موصوفا على صفة ، وصفة على موصوف • فقصر القلب فى النـــوع الأول يتحقق بتخصيص صفة مكان اخرى قصد الرد المخاطب فى اعتقاده العكس • وفى النوع الثانى يتحقق بتخصيص موصوف مكان آخر • فعلى الأول تقول • ما شوقى الا شاعر : لمن يعتقد أنه كاتب لا شاعر • وعلى الثانى تقول : ما شـــاعر الا شـــوقى • لمن يعتقد أنه الجاحظ لا شوقى • وسمى هذا بقصر القلب (٤) : لأن فيه قلب : أى «تبديل» حكم المخاطب كله بغيره • بخلاف قصر الافراد • فليس فيه تبديل كله ، بل فيه اثبات البعض ونفى البعض » • ومن قصر القلب فى التنزيل

(١ ، ٢) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/١٧٩ •

(٣) ذاته ٢/١٨٠ •

(٤) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ٢/١٨٠ •

قوله تعالى : « ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى اذانهم وقرا وان يروا كل آيه لا يؤمنوا بها ،حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين » وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون » (١) ففى قوله تعالى حكاية عن الكفار : ان هذا الا اساطير الاولين » ترى ان الكفار بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويناكرونه ، وتظهر مجادلتهم فى قولهم « ان هذا الا أساطير الاولين » فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب • وهى الغاية فى التكذيب ، وهم بذلك ينفون أنه وحى من عند الله • فهذا من قصر الموصوف على الصفة قصر قلب لأنهم بقولهم يقولون لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ان ما تقوله ليس وحيا سماويا • بل هو أساطير الأولين ، فيقلبون بهذا دعواه • أما قوله تعالى « وان يهلكون الا أنفسهم » فهذا تعقيب على موقفهم من القرآن حيث اعتقدوا أنهم حينما ينهون وينأون عنه أى عن الرسول أو القرآن ، قاصدين تخلى الناس عن الرسول فيهلكونه • وهم فى الحقيقة يهلكون أنفسهم • وهذا قصر صفة على موصوف قصر قلب (٢) • وليس المراد بالهلاك • الموت • بل الخلود فى النار • وان نافية بمعنى « ما » ونفى الشعور عنهم باهلاكهم أنفسهم مذمة عظيمة لأنه أبلغ فى نفى العلم • اذا البهائم تشعر وتحس • فوبال ما راموا حل بأنفسهم ، ولم يتعداهم الى غيرهم •

---

(١) الأنعام ٢٥ ، ٢٦ • تفسير أبى السعود ٣/١٢٢ ، الكشاف ٢/١٢ البحر المحيط ، الدر اللقيط (هامش البحر المحيط) ٤/٩٨ ، ٩٩ •

(٢) البحر المحيط ٤/١٠٠ •

قصر التعيين :

قلت ان الافراد هو تخصيص شيء بشيء دون شيء آخر ، وقصر القلب : هو تخصيص شيء مكان شيء آخر •

ولكن • هل قصر التعيين : تخصيص شيء بشيء مكان شيء ، أو تخصيص شيء بشيء دون شيء ؟ •

يذهب الخطيب كما فى الايضاح (١) الى أن فى قصر التعيين ــ كالقلب ــ تخصيصا بشيء مكان شيء آخر • فهو عنده يشترك مع قصر القلب فى أن فى كل منهما تخصيص بشيء مكان شيء ، والفرق بينهما أن المخاطب فى القلب يعتقد العكس • بينما هو فى التعيين متردد • وعلى ذلك فقصر التعيين عنده قسيم لقصر القلب » •

أما السكاكى (٢) فيرى أن فى القصر التعيين تخصيصا بشيء دون شيء ولذلك يجعل التخصيص بشيء دون شيء مشتركا بين الافراد والتعيين • أما تخصيص الشيء مكان شيء فهو عنده قصر القلب فقط • وعلى ذلك يكون قصر التعيين قسيما لقصر القلب • والفرق بين قصر الافراد والتعيين على رأى السكاكى : أن المخاطب فى قصر الافراد يعتقد الشركة • وفى قصر التعيين متردد •

أما سعد الدين : فقد اعترض على ما ذهب اليه الخطيب وأبطله • اذ أن تخصيص شيء بشيء مكان آخر ان اعتقد المخاطب فيه العكس فهو قصر قلب • وان تساويا عنده فهو قصر تعيين قائلا (٣) : « اذا

---

(١) بغية الايضاح ٦/٢ •　　(٢) المفتاح ١٣٩ •
(٣) المطول ٢٠٨ •

تساوى الأمران عند المخاطب ، وعين المتكلم أحدهما : يكون هذا تخصيص أمر بصفة دون أخرى ، ولا تخصيص أمر بصفة مكان أخرى حتى يثبت المتكلم تلك الصفة مكانها » ألا يرى أنك اذا قلت : ما زيد الا قائم لمن اعتقد اتصافه بواحد من القيام والقعود على التساوى • فقد خصصته بالقيام متجاوزا القعود • ولم تخصصه بالقيام مكان القعود • لأن المخاطب لم يعتقد اتصافه القعود حتى توقع القيام مكانه ، وكذا الكلام فى قصر الصفة • ثم قال مرجحا ما ذهب اليه السكاكى : « ولهذا جعل صاحب المفتاح تخصيص شىء دون آخر مشتركا بين قصر الافراد ، والقصر الذى سماه المصنف قصر تعيين ، وجعل تخصيصه به مكان آخر قصر قلب فقط » •

هذا : وكلام الخطيب فى متن التلخيص لا يمنع أن يكون قصر التعيين مشتركا مع قصر الافراد ، فى أن كلا منهما تخصيص بشىء دون شىء حيث قال : والمخاطب (١) بالأول من ضربى كل من يعتقد الشركة ويسمى قصر افراد ، وبالثانى من يعتقد العكس ويسمى قصر قلب ، أو تساويا عنده ، ويسمى قصر تعيين » فاذا عطفنا (٢) « أو تساويا » على « يعتقد العكس » كان موافقا لكلامه فى الايضاح فى أن كلا من القلب والتعيين فى تخصيص بىء مكان شىء • أما اذا اعطفنا « أو تساويا » على « يعتقد الشركة » كان موافقا لرأى السكاكى ومخالفا لكلامه فى الايضاح فى أن كلا من الافراد والتعيين فيه تخصيص بشىء دون شىء » وبهذا يكون قصر التعيين قسيم لأخويه القلب والافراد ، وليس قسيما لأحدهما •• يقول الدسوقى : « قصر (٣) التعيين لم يدرجه أحد فى قصر القلب لظهور أن لا عكس فيه أصلا • وأما عند

---

(١) متن التلخيص • القزوينى ص ٣٦ مطبعة الصدق • بدون تاريخ •
(٢) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/ ١٨٠ •
(٣) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى •

السكاكى ، فالتعيين من أفراد الافراد لا قسيم له ، لأن الافراد عنده عبـــارة عن قطع الشركة ، سواء كانت بطريق الاحتمال أو الاعتقاد . وعند المصنف ، الافراد ، قطع الشركة الاعتقادية فلا يتناول التعيين ، لأنه قطع الشركة الاحتمالية لاشتراك الصفتين ، أو الموصوفين فى أن كلا منهما يحتمل أن يكون ثابتا بدل الآخر » أما ابن يعقوب فيجوز (١) أن يصدق على قصر التعيين تعريف قصرى الافراد والقلب . فيكون التعريفان شاملين لقصر التعيين ــ فقصر التعيين عنـــده كما أن فيه تخصيصا لشىء مكان شىء . فيه تخصيص بشىء دون شىء . ومثال قصر التعيين ــ قصر موصوف على صفة : ما محمد الا شاعر ــ ردا على المخاطب اذا كان مترددا أهل الفارس خالد أو سليمان مثلا ، وهو لا يدرى أيهما الفارس على وجه التحديد .

★ ★ ★

هل يتحقق هذا التقسيم الثلاثى فى القصر الحقيقى :

فى الحقيقة أن السكاكى قد حسم هذه القضيةقائلا:«وحاصل(٢) معنى القصر راجع الى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان ــ كقولك : زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده شـــاعرا ومنجما ــ أو قولك : زيد قائم لا قاعد . لمن يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح . ويسمى هـــذا قصر افراد ... » فقول السكاكى « عنـــد السامع » يبين لنا أنه يعنى بهذا التقسيم القصر الاضـــافى » ويرى السعد ــ ويوافقه عبد الحكيم ــ وجمهور البلاغيين ــ أن هذا التقسيم خاص بالقصر الاضافى ولا يكون فى الحقيقى اذ العاقل (٣) لا يعتقد

---

(١) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ١٨٢/٢ .
(٢) المفتاح ١٣٩ .
(٣) المطول ٢٠٧ ، السيالكوتى ٣٥٩ .

اتصاف أمر بجميع المصنفات ، ولا بجميع الصفات غير صفة واحدة • ولا يردده أيضا بين ذلك ، وكذا اشتراك صفة بين جميع الأمور » •

أما العصام (١) ويؤازره اليعقوبى فيريان أن هذه الأقسام الثلاثة يمكن أن تكون فى قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا اذ أنه يصح أن يكون لرد اعتقاد أن فى الدار زيدا مع انسان • فيقال فى رده : ما فى الدار الا زيد • لأنه لابد لنفى انسانها من عموم النفى • كما لا يخفى لصحة قولنا : ما فى البلد من علمائه الا زيد • لمن اعتقد أن جميع علمائه فى البلد • أو تردد المسند بين علمائه ، أو يجعل المسند لما سوى زيد من علمائه • على أنه لا مانع من رد اعتقاد الشركة بالقصر الحقيقى • فيكون قصر اعتقاد ، وقلب اعتقاد به فيكون قصر قلب • والتعيين به كذلك • نعم لا يجب أن يكون المخاطب به واحدا من هؤلاء ، بل يحتمل أن يكون خالى الذهن » •

هذا هو ما قاله العصام • ولكن كما يتضح من هذه الأمثلة أنها مصنوعة متكلفة لتحرير ما ذهب اليه •

ثم استطرد العصام قائلا : « ومن بدائع القصر ما يريد به الشركة فكان كالجامع القصر ونقيضه — اذ القصر قد يكون لقطع الشركة ولا يكون للشركة — فيكون الكلام معه كالجامع بين المتنافيين وفيه السحر الواضح الذى يوجب الحسن الزين • كقوله تعالى : وأرسلناك للناس رسولا » (٢) فانه قدم « للناس » لاتخصيص وقصر القلب • وذلك انما يتحقق بجعل الناس للاستغراق أى لجميع الناس لا لبعضهم ،

---

(١) الأطول ١/٢٠٧ ، تقرير الانبابى ٣/٤٦ ، شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/١٧٧ •

(٢) النساء ٧٩ ؛ تفسير أبى السعود ٢/٢٠٦ .

ردا لاعتقاد أنه نبى العرب فقط • فصار بذلك القصر رسالته مشتركا بين الناس متنقلا من الخصوص الى العموم • وهذا من دقائق القصر • هذا : ولقد اشترط (١) الخطيب فى قصر الموصوف على الصفة افرادا : عدم تنافى الوصفين • ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما فى الموصوف • حتى تكون الصفة المنفية فى قولنا : ما زيد الا شاعر ــ كونه كاتبا ، أو منجما لا كونه مفحما أى غير شاعر • لأن الافحام • وهو وجدان الرجل غير شاعر ينافى الشاعرية » ــ وخص (٢) هذا الشرط بقصر الموصوف على الصفة دون قصر الصفة على الموصوف : لأن الموصوفات لا تكون الا متنافية هل يشترط فى قصر الصفة على الموصوف افرادا شىء ؟ •

• • • • • • • • • • • • •

نقل الدسوقى (٣) فى حاشيته عن الشيخين رحمهما الله ــ أنه يشترط فى قصر الموصوف عدم تنافى الاتصافين • اذ لو كان الوصف مما لا يصح قيامه بمحلين لم يتأت اعتقاد المخاطب ثبوته لموصوفين • فلا يتأتى فيه قصر الافراد • نحو قولك : لا أب لزيد الا عمرو • ونحو : ما أفضل البلد الا زيد • لأنه لا يجتمع الموصوفان فى وصف الأبوة ، ولا فى وصف الأفضلية • فلا يتأتى فيهما قصر الافراد بخلاف نحو قولك : لا جواد الا حاتم فى قصر الافراد • فيصح لأن الجود يمكن أن يتصف به اثنان » •

٢ ــ كما اشترط الخطيب فى كتابيه التلخيص (٤) والايضاح ــ وتابعه معاصره محمد بن على الجرجانى ــ قلب الموصوف على الصفة

---

(١) بغية الايضاح ٢/٧ •

(٢) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/١٨٢ •

(٣) ذاته ٢/١٨٢ •

(٤) ينظر من التلخيص ٣٦ ، بغية الايضاح ٢/٧ ، الاشارات والتنبيهات • محمد بن على الجرجانى ص : ٩ ت د• عبد القادر حسين ط نهضة مصر ١٩٨١ ؛

قلبا : تحقق تنافيهما ليكون اثبـات أحدهما مشعرا بانتفاء الأخرى • فيكون المنفى مثلا فى قولنا : ما زيد الا قائم • كونه قاعدا • لا كونه أسود ، أو أبيض ليكون اثباتها مشعرا بانتفاء غيرها » •

وقد اعترض سعد الدين على هذا الشرط بما يفيد بطلانه قائلا : « لأنه (١) ان أراد به ما سبق الى بعض الأوهام من أن يكون اثبـات المتكلم تلك الصفة المذكورة كالقيام فى قولنا : ما زيد الا قائم • مشعرا بانتفاء غيرها وهو القعود ضرورة امتناع اجتماعهما ففساده واضح ، لأن هذا لا يتوقف على تنافيهما لأن اثباتها بطريق القصر مشعر بانتفاء الغير كما فى قصر الافراد والتعيين • بل قد يصرح بالنفى والاثبات جميعا نحو : زيد قائم لا قاعد • وان أراد به أن يكون اثبات المخاطب تلك الصفة التى نفاها المتكلم كالقعود مشعرا بانتفاء غيرها • وهى التى أثبتها المتكلم كالقيام حتى يكون هذا عكساً لحكم المخاطب فيكون قصر قلب فهو أيضـا فاسد • لجواز أن يكون انتفاء الغير معلوما من وجه آخر • مثل أن يصرح المخاطب به ويقول : ما زيد الا قاعد » • وأيضا يخرج حينئذ قولنا : ما زيد الا شاعر لمن اعتقد أنه كاتب لا شاعر عن أقسام القصر الاضافى •

« أما خروجه (٢) ء نقصر الافراد فلاعتقاد المخاطب اتصـافه بصفة • وفى قصر الافراد ، لا بد أن يعتقد المخاطب اجتماعهما واتصافه بهما وأما خروجه عن قصر التعيين فلكون المخـاطب مترددا لا اعتقاد عنده • والمخاطب هنا معتقد ثبوت أحدهما وانتفاء الآخر • وأما خروجه عن قصر القلب فلعدم تحقق تنافى الوصفين هنا فى الواقع وهو شرط فيه لا بد منه على ما قال المصنف (أى من اشتراط هـذا الشرط وهو

---

(١) المطول ٢٠٩ ، ٢١٠ •

(٢) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ١٨٤/٢ •

تحقق تنافيهما » • أما صنيع السكاكى من اهماله هذا الشرط فلا يكون هذا المثال خارجا عن الأقسام الثلاثة بل من قبيل قصر القلب » • ولذا يقول السعد مؤيدا صاحب المفتاح فيما ذهب اليه : ولقد (١) أحسن صاحب المفتاح فى عدم اشتراط هذا الشرط • وأما ما يقال ان ما اشترطه الخطيب انما هو شرط حسن قصر القلب فمما لا يفهم من اللفظ بل يأباه لفظ الايضاح • ولو فهم فلا دليل عليه لأنا لا نسلم عدم حسن قولنا : ما زيد الا شاعر، لمن اعتقده كاتبا لا شاعرا ، وكذا ما يقال ان المراد التنافى فى اعتقاد المخاطب بألا يجتمع فيه الوصفان • لأن هذا الاشتراط حينئذ يكون ضائعا ، لأنه قد علم أن قصر القلب هو الذى يعتقد فيه المخاطب العكس • أعنى ثبوت ما نفاه المتكلم ، ونفى ما أثبته ، وأيضا قد اعتبر صاحب المفتاح فى قصر القلب كون المخاطب معتقد اللعكس • فلا يصح قول المصنف انه لم يشترط فى قصر القلب تنافى الوصفين : وأما عدم اشتراط السكاكى فى قصر الافراد عدم تنافى الوصفين فمبنى على أنه أدخل فيه قصر التعيين » •

وقد حاول عبد الحكيم أن يدافع عن الخطيب قائلا : « ان هذا (٢) الشرط ليس الأصل قصر القلب ، وانما هو شرط للجزم بكونه قصر قلب » ولكن الحق مع السعد فيما ذهب اليه •

أما قصر التعيين : فقد اتفق البلاغيون على أنه لا يشترط فيه شىء والتعيين (٣) أعم من أن يكون الوصفان فيه متنافيين ، أو غير متنافيين لأن اعتقاد كون الشىء موصوفا بأحد الأمرين المتعينين لا يقتضى امكان اجتماعها ، ولا امتناعه • وكل ما يصلح أن يكون قصر

---

(١) المطول ٢١٠ بتصرف •

(٢) السيالكوتى ٣٦١ •

(٣) المطول ٢١٠ •

افراد أو قلب يصلح أن يكون قصر تعيين بدون عكس • لأنه قد يصلح للتعيين ما لا يصلح للافراد وهو القلب ــ وقد يصلح للتعيين ما لا يصلح للقلب وهو الافراد •

طــرق القصر

فن القصر شأنه شأن الفنون البلاغية عامة يهدف الى احـــداث التأثير النفسى ــ وليس (١) من الضرورى أن يكون الواقع الذى تعبر عنه نسبة الصفات الى الموصوفات ملائما للواقع الخارجى • بل المطلوب أن يكون ملائما للواقع النفسى أى مؤديا لمعنى يريد المتكلم التعبير عنه ويحسن اختيار الأداة التى تظهره ، محدثا تأثيره فى السامع من خلال تخير الموقف المناسب ، وأدوات القصر تمثل جانبا من الاختيار فى أداء نوع معين من المعانى يفترق عن غيره من المعانى الأخرى فى مجـــال الاثبات والنفى • فان هناك فروقا دقيقة بين هذه الأدوات بعضـــها والبعض الآخر • حيث يمثل كل منها جانبا دقيقا من هذا الاطار العام للمعنى وهو القصر • وذلك الفرق يحتم الاختيار مرة أخرى داخـــل هذه الأدوات • وطرق القصر كثيرة ، ولذا يقول الخطيب (٢) وللقصر طرق منها ، ومنها •• دون أن يقول الأول ، والثانى • واشـــارة الى هذا يقول السعد (٣) : ويمكن أن يجعل ضمير الفصل ، وتعريف المسند أيضا من طرق القصر • لكن ترك ذكرهما هاهنا لاختصاصهما بما بين المسند والمسند اليه ، مع التعرض لهما فيما سبق ــ أما العطف والتقديم فمهما وان سبقا لكنهما يعمان غير المسند اليه والمسند كالطرق المذكورة هنا

---

(١) محاضرات فى علم الأســـلوب د• أحمد درويش ص ٨٢ ، ٨٣ بتصرف (أوفست) •

(٢) بغية الايضاح ٢/٨ •

(٣) المطول ٢١٠ بتصرف •

وأرانى أرجح أنهم اقتصروا على هـذه الطـرق لأن ما عداها لا يحقق الأغراض البلاغية التى تفاد من طرق القصر التى تواضعوا عليها كالتأكيد والتجسيم والتصوير والتعريض وغير ذلك من عطاء غير مجذوذ ــ ولهـذا سيكون حديثى عن هذه الطـرق الأربعة « النفى والاستثناء انما ــ التقديم • العطف بـ « بل أولا ، ولكن » مخالفا للترتيب الوارد فى كتب البلاغة حيث اننى سـأبدأ برأس الباب وهو النفى والاستثناء لما فيه من القوة فى الدلالة على المعنى • كما أنهم حينما يستدلون على افادة انما القصر ــ يقولون : انها تتضمن معنى ما والا ، وأنها تعم جميع أنواع القصر ، وتفيده بمقتضى نظام التركيب ووضعه ، وتعدد أدواتها • ثم (انما) ، ثم (التقديم) ، وأخيرا : (العطف ببل أولا • أو لكن) •

١ ــ النفى والاستثناء :

وهـذا الطريق أبلغ الطرق وأقواها ، ولذلك كثر اسـتعماله فى مقامات الرد على المنكرين والملحدين ، وهذا الطريق يقتضى أن تشتمل الجملة على أداتين أحدهما للنفى ، والثانية للاستثناء •

أما النفى فيتحقق بأى أداة من أدواته حرفا مثل ما ، لا النافية ، لم ، لا الناهية وان : مكسورة (١) الهمزة ساكنة النون • ومجـراها مجرى (ما) • فى نفى الحال وتدخل على الجمل الاسمية والفعلية نحو: ان أنتم الا بشر مثلنا (٢) ، ان الكافرون الا فى غرور (٣) • وقـوله

---

(١) مغنى اللبيب • ابن هشام ١/٢١ ط عيسى الحلبى ، شرح المفصل لابن يعيش ٨/١١٢ ط بيروت •

(٢) ابراهيم عليه السلام ١٠ • (٣) الملك ٢٠ •

سبحانه : ان كانت الا صيحة واحدة (١) » ومثل النفى النهى والاستفهام • كما يتحقق الاستثناء بالا وغير وسوى • وقد يتحقق بحتى أو بدون أو نحوهما •

على هذا فالاستثناء من الاثبات لا يفيد القصر عند جمهور البلاغيين لانه يقصد لذاته (٢) • أما ابن السبكى (٣) فيرى أن الاستثناء قصر سواء كان مع النفى ام الايجاب • فقولك : قام الناس الا زيدا • فانك قصرت عدم القيام على زيد • ولا يقال : لو قصرت عدم القيام على زيد لكان فى قولك : قام الناس الا زيد • نفى لقيام غير الناس • لانا نقول : هو قصر لعدم القيام بالنسبة الى الناس على زيد • كما أنك اذا قلت : ما قام الناس الا زيدا : لم تقصر القيام على زيد • كما أنك اذا قلت : ما قام الناس الا زيدا : لم تقصر القيام على زيد مطلقا • وانما قصرت عليه القيام بالنسبة الى الناس ، ويعلل لمسلكه هذا بقوله : « فقولطم من طرق الحصر : النفى والاستثناء لا يظهر فيه مناسبة للتعرض النفسى » •

أما العصام (٤) : فقد أشار الى أن الاستثناء من الايجاب ليس القصد فيه الى الحصر بل الى تصحيح الحكم الايجابى ، فهو بمنزلة تقييد طرف الحكم • فكما أن : جاءنى الرجال العلماء • ليس قصرا • كذلك جاءنى الرجال الا الجهال • ليس قصرا • وهذا بخلاف الاستثناء من النفى • فان المقصود من نحو : ما جاءنى الا زيد • قصر الحكم على زيد لا تحصيل الحكم • والا لقيل جاءنى زيد ، ثم تراه يستدل بما ذهب اليه السيد السند فى حواشى شرحه على المفتاح مشيرا الى

---

(١) يس ٥٣ (٢) تقرير الانبابى ٣/٦٣ •

(٣) شروح التلخيص (عروس الافراح) ٢/١٩١ •

(٤) الأطوال ١/٢١٩ ، السيالكوتى ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، شروح التلويح على التوضيح • سعد الدين التفتازانى ٢/٥٤ ط صبيح •

الفرق بين الاستثناء فى حالة الاثبات وأنه لا يتحقق فيه القصر ، وبين الاستثناء المفرغ قائلا : « ولعل السر فى ذلك أن المستثنى اذا كان جزئيا للمستثنى منه كما فى المفرغ من المنفى • نحو : ما جاءنى الا زيد ، وما يؤول إليه المفرغ المذكور اذا صرح فيه المقدر • نحو . ما جاءنى أحد الا زيد • حسن أن يعتبر اعتقاد المخاطب للشركة ، أو للعكس ، أو تردده فى ذلك الجزئى ، وما يقابله من الجزئيات الأخر• وأما اذا كان المستثنى جزءا من المستثنى منه كما فى قولك : جاءنى القوم الا زيدا ، وقولك : قرأت الا يوم كذا فانه لا يحسن فيه ذلك الاعتبار كما يشهد بذلك الذوق السليم » •

(وجه افادة النفى والاستثناء والقصر) :

ان دلالة النفى والاستثناء على القصر لا ينازع فيها أحد • وانما المقصود من ذلك بيان وجه تلك الأداة •

(الوجه الأول) :

يرى الخطيب القزوينى (١) أنك فى قصر الموصوف على الصفة : اذا قلت : ما زيد : توجه النفى الى صفته لا ذاته ، لأن أنفس الذوات يمتنع نفياه ، وانما تنفى صفاتها • وحيث لا نزاع فى طوله وقصره ، وما شاكل ذلك وانما النزاع فى كونه شاعرا أو كاتبا • تناولهما النفى• فاذا قلت : الا شاعر • جاء القصر لتحقق النفى والاثبات المحقق للقصر • وأنك اذا قلت فى قصر الصفة على الموصوف : ما شاعر : فأدخلت النفى على الوصف المسلم ثبوته — أعنى اشعر — لغير من الكلام فيهما كزيد وعمر مثلا • توجه النفى اليهما • فاذا قيل : الا زيد : جاء القصر •

---

(١) بغية الايضاح ٢/١٢ •

(الوجه الثانى) :

أن النفى (١) فى الاستثناء المفرغ ــ وهو الذى حذف فيه المستثنى منه ، وأعرب ما بعد الا فيه بحسب العوامل ، وانما «٢» سمى مفرغا لأن ما قبل الا تفرغ لطلب ما بعدها ولم يشتغل عنه بالعمل فى غيره •

والاستثناء فى الحقيقة من عام محذوف ، وما بعد «الا» بدل من ذلك المحذوف ــ يتوجه الى مقدر هو مستثنى منه عام مناسب للمستثنى فى جنسه وصفته : أما توجيهه الى مقدر هو مستثنى منه • فلأن «الا»: للاخراج ، والاخراج يقتضى مخرجا منه ــ والمراد (٣) التقدير المعنوى لا الصناعى • لأن تقدير المستثنى منه والتفريغ لا يجتمعان •

وأما كونه عاما : فليتناول المستثنى وغيره ، فيتحقق الاخراج ، ولئلا يلزم التخصيص من غير مخصص • والمراد بالعموم هنا العموم الشمولى لا العموم البدلى • فلو أريد (٤) البعض فان كان ذلك البعض معينا هو هذا المستثنى كان الكلام متناقضا محضا • وان كان غيره فلا اخراج فتبطل فائدة وضع دلالة الاستثناء • وان كان مبهما لم يتحقق دخوله فلا يتحقق الاخراج • فبطل تحقق دلالة الآلة فيما وضعت له ، فلم يفهم المعنى • واللفظ الموضوع يستلزم فهم معناه • فوجب أن يكون ذلك المقدر عاما ليتحقق الاخراج ، ولهذا يقال : الاستثناء معيار العموم • ومما يؤكد أن النفى فى الاستثناء المفرغ

---

(١) ذاته ٢/٢٥ ، المطول ٢٢٢ ، شروح التلخيص (ابن يعقوب) ٢/٢٣١ •

(٢) شروح التصريح على التوضيح ١/٣٤٨ •

(٣) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ٢/٢٣١ •

(٤) ذاته (مواهب الفتاح) ٢/٢٣١ •

يتوجه الى مقدر هو مستثنى منه عام قول الخطيب (١) : « ولذلك قيل: تأنيث المضمر (٢) فى ــ كانت ــ على قراءة أبى جعفر المدنى « ان كانت الا صيحة » (٣) بالرفع • وفى ترى • مبنيا للمفعول فى قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى الا ماكنهم » (٤) برفع مساكنهم ، وفى (بقيت) فى بيت ذى الرمة : فما بقيت الا الضلوع الجراشع •

للنظر الى ظاهر اللفظ • والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شىء من الأشياء » • ففى (٥) الآية الأولى : تقدير المستثنى منه « ما وقع شىء من الاشياء الا صيحة » والقصر هنا اضافى : وفى الآية الثانية لا ترى بقايا ولا أشياء منهم الا مساكنهم » والقصر هنا حقيقى تحقيقى » •

وفى بيت ذى الرمة : ما بقى منها شىء الا الضلوع الجراشع : أى الغليظة المنتفخة (٦) والقصر هنا حقيقى ادعائى •

وأما مناسبته للمستثنى فى جنسه : فيكون بأن يقدر فى نحو ما ضره الا زيد : ما ضرب أحد وفى نحو ما كسوته الا جية : ما كسوته لباسا •

وفى نحو : ما جاء الا راكبا • ما جاء كائنا على حال من الأحوال

و فى نحو : ما سرت الا يوم الجمعة ، ما سرت وقتا من الأوقات، وهكذا والمراد بمناسبته له فى صفته كونه فاعلا أو مفعولا ، أو ذال حال

---

(١) بغية الايضاح ٢/٢٥ بتصرف •

(٢) الأولى أن يقال تأنيث الفعل • لأنه اذا فرغ العامل الى ما بعد الا بأن حذف المستثنى منه فلا ضمير فى الفعل ــ المطول ٢٢٢ •

(٣) يس ٢٩ (٤) الأحقاف ٢٥

(٥) الكشاف ٣/٣٢٠ ، ٥٢٤ •

(٦) لسان العرب •

أو حالا • ونحو ذلك • فاذا وجب من ذلك المقدر شيء بالا جاء القصر• لأن (١) ذلك يقتضى الحكم عن غير الموجب ، واثباته لذلك الموجب • وهذا فى القصر الحقيقى •

أما اذا كان القصر اضافيا (٢) ، فيحتمل أن يقـــدر العام فيه مرادا به ذلك المنفى فقط ليرد طريق القصر على طريق واحـــد ، وان اختلفت الارادة ، ويحتمل أن يكون خارجا عن هذا الكلام فيـــكون وجه الافادة فيه أن الكلام الذى هو متحقق فيه نفى شيء واثبـــات غيره قطعا هذا : وما ذكرته كان فى الاستثناء المفرغ اذا وقع بعـــده مفـــــرد •

أما اذا وقع بعد «الا» فى الاستثناء المفرغ جملة فاما أن تكـون خبرا لمبتدأ نحو ما زيد ، الا يقوم ، أو صفة نحو : ما جاءنى منهم رجل الا يقوم ، أو لا يقعد • أو حالا : نحو : ما جاءنى زيد الا وهـــو يضحك • فيحتمل (٣) أن يؤول المستثنى بالمفرد • أى ما جاء كائنـا على حال الا كائنا على حال الضحك • أو يقدر ما جاء وهو يفعل شيئا من الأشياء الا وهو يضحك •

ومن أمثلته فى القصر الحقيقى : قوله تعالى : هل جزاء الاحسان الا الاحسان (٤) فى هذه الآية قصر جزاء الاحسان « وهو موصوف » على الاحسان « وهو صفة » أى ليس جزاء الاحسان شيئا من الأشياء الا الاحسان ، والقصر هنا : حقيقى ادعائى • والتعبير بالاستفهام فى مكان النفى يحرك المشاعر ويدعو الى البحث عن جواب •

---

(١) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/٢٣١ •
(٢) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/٢٣٢ •
(٣) ذاته ٢/٢٣٢ •
(٤) الرحمن /٦٠ •

ومنه فى القصر الاضافى : قوله تعالى : « ان أنت الا نذير » (١) ففى هذه الآية قصر سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليــــه وسلم ــ «موصوف» على الانذار «صفة» دون أن يملك تحويل القلوب المشركة عما هى عليه من العناد والمكابرة ، لأنها قد طبع عليها .

وقد مثل الخطيب (٢) لقصر الموصوف على الصفة افرادا بقــول القائل : مازيد الا شاعر : أى لا كاتب . وقلبا : مازيد الا قــــائم . وتعيينا بقــوله تعــــالى : « وما أنزل الرحمـــــن من شىء ان أنتم الا تكذبون » (٣) ثم علق عليه قائلا : أى لستم فى دعواكم للرســـالة عندنا بين الصدق والكذب ، كما يكــون ظاهر حال المدعى اذا ادعى بل أنتم كاذبون فيها . فتراه جعل الآية من قبيل قصر التعيين . وهذا لا يصح الا بتنزيل المشركين للرسل منزلة المترددين مبالغة فى انكارهم لدعواهم ، واعراضهم عنها . والظـــاهر (٤) أن القصر هنـــا قلب لا تعيين . وقد جعل السكاكى الآية من قبيل قصر الافراد (٥) .

٢ ــ انما : أما انما فلم يكن شأنها شأن « ما والا » فى دلالتهـــا على القصر . بل هناك فريقان . فريق المحققين وهذا يجعلها مفيـــدة للقصر وفريق آخر يسلب عنها تلك الخاصية . ولكن الذين اتفقـــوا على أفادتها القصر اختلفوا فى وجه افادتها ذلك . أهى تفيد ذلك بالمنطوق أم بالمفهوم ، أو تفيد الحصر بالوضع أو العرف أو تفيده بالحقيقة أو بالمجـــاز ؟

---

(١) فاطر ٢٣ تفسير أبى السعود ٧/١٥٠ .
(٢) بغية الايضاح ٢/١١ .
(٣) يس ١٥ .
(٤) بغية الايضاح ٢/١١ .
(٥) المفتاح ١٣٩ .

وفى الحقيقة كما يقول الكرمانى (١) : انها تفيده بالمنطوق وضعا حقيقيا • ولكن اذا كانت انما تفيد الحصر بالوضع ــ كما اتفق عليه الجمهور ــ فما أساس هذه الدلالة ؟ أو بمعنى آخر • ما نوع « ما » التى اتصلت بأن حتى أصبحت «انما» تفيد الحصر ؟

١ ــ قا لعلى بن عيسى الربعى (٢) : الدليل على كون انما موضوعة للقصر (٣) أنه لما كانت كلمة «ان» موضوعة لتأكيد الاسناد، ثم اتصلت بها «ما» المؤكدة • ناسب أن تضمن معنى القصر • لأن القصر ليس الا تأكيدا على تأكيد • فان قولك : زيد جاء لا عمرو • لمن يتردد فى المجىء الواقع بينهما • مفيدا اثباته لزيد فى الابتداء صريحا وفى الأخير ضمنا •

وقد عقب محمد بن على بن داود الجرجانى (٧٢٩ هـ) (٤) على هذا مبطلا له بقوله : « واستحسن هذا وجه السكاكى (٥) صريحا . وكذا المعاصر بقوله (٦) : وانما هو أضعف من بيت العنكبوت•لأن هذه المقدمات • أى كون «ما» فى انما للتأكيد ، وكون القصر تأكيدا على تأكيد • وكون زيد جاء لا عمرو للقصر ، وأنه يفيد التأكيد • كلها ممنوعة •

والجرجانى محق فيما ذهب اليه : اذ أن هناك فرقا بين التأكيدين فى الموطنين • فالتأكيدان فى القصر أتيا من أن القصر كما تقضى حقيقته

---

(١) فتح البارى : شرح صحيح البخارى • العسقلانى ١٢/١ ط بيروت

(٢) علم من أئمة النحو • كان تلميذا للفارسى والسيرافى توفى ٤٢٠ نزهة الألباد ٢٢٤ •

(٣) الاشارات والتنبيهات ٩٢ •

(٤) أعيان الشيعة • السيد محسن الأمين ٢٩/٤٦ ، ٣١ ط الانصاف بيروت •

(٥) المفتاح ١٤٠ •

(٦) بغية الايضاح ١٤/٢ • والخطيب مردد قول السكاكى •

اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه • يقول الكرمانى (١) : وأما قول من قال : افادة هذا السياق للحصر من جهة أن فيه تاكيدا بعد تأكيد ، وهو المستفاد من انما والجمع فمتعقب بأنه من باب ايهام العكس لأن قائله لما رآى أن الحصر فيه تأكيد على تأكيد • ظن أن كل ما وقع كذلك يفيد الحصر • (٢) وهذا باطل اذ لو كان كذلك لزم الحصر فى نحو : والله ان زيدا لقائم • اذ أن كل حصر تأكيد على تأكيد • وليس كل تأكيد على تأكيد حصر •

٢ ــ أجمع أهل الأصول من المذاهب الأربعة الا اليسير كالآمدى (٣) على أن « انما » تفيد الحصر • غير أنهم قالوا : ان «أن» للاثبات ، و «ما» النفى • والأصل بقاؤها على ما كانا • وليس ان لاثبات ما عدا المذكور • و « ما » لنفى المذكور وفاقا • فتعين عكسه •

وهذا باطل ايضا (٤) لأنها لو كانت انافية لبطت صدارتها مع أن لها صدر الكلام • واجتمع حرفا النفى والاثبات بلا فصل ، ولجاز نصب انما زيد قائما • وكان معنى : انما زيد قائم : تحقق عدم قيام زيد • لأن ما يلى حرف النفى منفى • يقول الجرجانى (٥) وأقوى منه « أى من قول على بن عيسى الربعى » من قال من الأصوليين ان «ان» للاثبات ، و «ما» للنفى • ومن المحال تواردهما على شىء واحد• فتكون « ان » للاثبات المذكور و « ما » لنفى ما عداه ، وهو القصر • وان كان أيضا لا يخلو من ضعف • لأنا نمنع كون «ما» هنا للنفى •

---

(١) فتح البارى ١/١٢ •
(٢) عمدة القارىء شرح صحيح البخارى ـ العينى ١/٢٨ ، ٢٩ •
(٣) فتح البارى ١/١٢ ، عمدة القارى ١/٢٨ ، ٢٩ •
(٤) عمدة القارى ١/٢٨ ، فتح البارى ١/١٢ •
(٥) الاشارات والتنبيهات ٩٢ ، ٩٣ •

وعلى تقدير كونها للنفى ، نمنع أنه يرجع الى ما عدا المذكور ، لامكان توارد النفى والاثبات على الحكم المذكور اذا أختل شرط من شرائط التناقض (١) .

(أدلة جمهور البلاغيين على افادة انما لقصر) :

قلت ان «ما» فى «انما» ذهب البعض الى أنها للتأكيد ، والبعض الآخر أنها للنفى . وقد بان خطأ كل . وفى الحقيقة أن « انما » مكونة من «ان» التى تفيد التأكيد والتحقيق ، و «ما» (٢) الكافة المهيئة : والكف حكم لفظى لا ينفى أن يقارنه حكم معنوى وهى تفيد القصر لتضمنها معنى ما والا .

ومعنى (٣) هذا : أن معنى انما . ليس هو معنى . ما والا ـ بعينه . حتى كأنها مرادفة لهما . اذ أن تضمن الشىء معنى الشىء لا يقتضى أن يكون كهو من كل وجه . بخلاف كونه نفسه . ولهذا يقال : ان انما ولو شاركت ما والا فى افادة القصر . تختلف معها فى أن انما . تستعمل فيما من شأنه ألا ينكر . وما والا بالعكس . لأن الأمر الذى من شأنه أن ينكر صالح لأن يستعمل فيه ما والا ، ولا يصلح لانما انما تستعمل فيما من شأنه ألا ينكر . وكمن الزائدة . فانه لا يصلح معهما ما والا . دون انما . نحو : وما من اله الا الله (٤) .

---

(١) يراجع مفتاح المفتاح للشيرازى ت د.ر. نزيه عبد الحميد . مخطوط بكلية اللغة العربية ١/٦٩٠ ، المصباح للشريف الجرجانى ت د. فريد النكلاوى جـ ٢/٥١١ مخطوط بكلية اللغة العربية ، الأطول ١/٢٢٠

(٢) شرح التصريح على التوضيح ١/٢٢٥ ، المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات لأبى على النحوى ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ط بغداد ١٩٨٢ .

(٣) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/١٩٥ .

(٤) آل عمران ٦٢ .

ولا يصلح أن يقال انما بمعناها • كان كل كلام يصلح فيه • ما والا • يصلح فيه • انما •

وظهر (١) بهـــذا أنهم حين جعلوا انما فى معنى ما والا • لم يعنوا أن المعنى فيهما واحد على الاطلاق وأن يسقطوا الفرق •

أما أدلة الجمهور على افادة انما القصر • فها هى ذى :

١ ــ قول مفسرى الصدر الأول من الذين يحتج بهم فى اللغـة كابن عباس رضى الله عنهما ، ومجاهد ونحوهما من الصحابة والتابعين: ان قوله تعالى : « انما حرم عليكم الميتة » (٢) بنصب الميتة معناه(٣): ما حرم عليكم الا الميتة • وهذا المعنى هو المطابق لقراءة الرفع • أى رفع الميتة ، وقراءة رفع الميتة تفيد القصر بتعريف الطـرفين • واذا كانت قراءة الرفع تفيد القصر • فقراءة النصب تفيده أيضا •

بيان ذلك أن فى هذه الآية ثلاث قراءات :

الأولى : انما حرم عليكم الميتة : بنصب الميتة ، وحرم مبنيـــا للمعـــــلوم •

الثانية : انما حرم عليكم الميتة : برفع الميتة ، وحرم مبنيـــا للمعـــــلوم •

---

(١) دلائل الاعجاز ٣٢٩ •

(٢) هناك آيتان : انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله البقـرة ١٧٣ • وانما حرم عليـكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به (النحل ١١٥)•

(٣) بغية الايضاح ١٣/٢ •

(٤) ينظر البحر المحيط ٤٨٦/١ •

الثالثة : انما حرم عليكم الميتة : برفع الميتة : وحرم مبنيا للمفعول

فعلى القراءة الأولى «ما» فى انما • كافة • اذ لو كانت موصولة لبقيت ان بلا خبر • ولبقى الموصول بلا عائلا • وجعلها موصولة ، والعائد ضمير مستتر والخبر محذوف • والتقدير (١) : ان الذى حرم أى الميتة هو الله تعالى « عكس للمعنى المقصود من الآيات وهو بيان المحرم «بالفتح» لأن الكلام حينئذ بيان للمحرم «بالكسر» فضلا عما فى ذلك من التكلف •

وعلى القراءة الثانية : تكون «ما»موصولة ، لتكون الميتة خبرا ، اذ لا يصح ارتفاعها بحرم المبنى للفاعل • على ما يخفى من أن المحرم• انما هو الله تعالى • لا الميتة • والمعنى : أن الذى حرمه الله عليكم هو الميتة • ثم على هذه القراءة لا يصح أن تكون «ما» كافة • ورفع الميتة على أنه خبر لمحذوف • والمعنى : انما حرم الله عليكم شيئا هو الميتة • لما فيه من التكلف • ووجه افادة القصر على القراءة الثانية تعريف الطرفين • فاذا كانت انما متضمنة معنى ما والا • وكان معنى القراءة الأولى ما حرم الله عليكم الا الميتة • مطابقة للقراءة الثانية • والا • لم تكن مطابقة لها • لافادة القراءة الثانية القصر • فمراد والسكاكى (٢) والخطيب (٣) بقراءة النصب والرفع ، هو القراءة الأولى ، والثانية فى المبنى للفاعل • ولهذا لم يتعرضا للاختلاف فى لفظ حرم • بل فى لفظ الميتة رفعا ونصبا •

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ١٩٦/٢ •

(٢) المفتاح ١٤٠ •

(٣) بغية الايضاح ١٣/٢ •

أما على القراءة الثالثة (١) : أعنى رفع الميتة ، وحرم مبنيا للمفعول .

فيحتمل أن يكون ما . كافة . أى ما حرم عليكم الا الميتة . وأن يكون موصولة أى أن الذى حرم عليكم هو الميتة . ويرجح كونها موصولة هذا ببقاء ان . عاملة . على ما هو أصلها . والقصر طريقه على الوجه الأول . انما وعلى الثانى التعريف .

ولقد توهم البعض (٢) أن مراد السكاكى والمصنف بقراءة الرفع . هذه القراءة الثالثة . فطالبهما بالسبب فى اختيار كونها موصولة مع أن الزجاج اختار أنها كافة .

٢ ــ قول النحاة الذين أخذوا اللغة من كلام العرب مشافهة : انما لاثبات ما يذكر بعدها ونفى ما سواه ، ومن الملاحظ أن النفى مصرح به فى ما والا . أما فى انما فهو خفى . وقولهم : ونفى ما يساوه: أى (٣) سوى ما يذكر بعده مما يقابله . لأن الكلام فى القصر الاضافى ــ سواء كان المغاير المنفى مغايرا لما فيه المشاركة كما فى قصر الافراد ، أو لكونه نقيض الحكم كما فى سوى الافراد . أما فى قصر الموصوف نحو : انما زيد قائم . فهو لاثبات قيام نفى زيد ، ونفى ما سواه من القعود ونحوه .

وأما فى قصر الصفة نحو انما يقوم زيد . فهو لاثبات قيامه ونفى ما سواه من قيام عمرو ، وبكر ، وغيرهما .

---

(١) هى قراءة أبى عبد الرحمن السلمى . المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز . ابن عطية الأندلسى ٤٨٣/١ ط مجمع البحوث ١٩٧٤ .
(٢) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ١٩٨/٢ .
(٣) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ١٩٩/٢ .

٣ ـ الوجه الثالث : صحة (١) انفصال الضمير مع انما : نحو: انما يقوم أنا ووجه صحة هذه الدعوى • أن انفصال الضمير لا يجوز الا عند تعذر الاتصال وفى المثال السابق ليس هناك مانع من اتصال الضمير الا اذا كان المعنى : ما يقدم الا أنا • لأن الا : لا يليها الا الضمير المنفصل وفصل الضمير عن عامله يجوز اذا كان لغرض • واذا كان الضمير يفصل بعد انما • فهى بمعنى ا والا : أى بمعنى النفى والاستثناء •

وانفصال الضمير بعد انما • صحيح وارد فى اللغة • ومن ذلك قول الفرزدق : وهو ممن يستشهد بشعرهم على صحة التراكيب وبلاغتها :

أنا الزائد الحامى الذمار وانما

يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

«الزائد» من الذود وهو الدفع والطرد • «الزمار» ما يلزم الشخص حمايته من أهل ومال ونحوها • مأخوذ من الذمر • وهو الحث • لأن ما يجب عليهم حمايته كانوا يتذامرون • أى يحث بعضهم بعضا على حمايته «الأحساب» جمع حسب وهو ما يعده الشخص من مفاخر نفسه وآبائه •

فالفرزدق : يهدف فى غرضه الى أنه يخص المدافع بكسر الفاء مبنيا على صيغة اسم الفاعل • لا المدافع عنهم بفتح الفاء مبنيا على صيغة اسم المفعول ، وذلك فصل الضمير وأخره • ولو قال : وانما

---

(١) ينظر (شروح التلخيص (مواهب الفتاح ، حاشية الدسوقى) ١٩٩/٢ ، دلائل الاعجاز ٤٠ ـ ٣٤٤ ، شرح التصريح على التوضيح ١٠٦/١

أدافع عن أحسابهم • لصار المعنى : أنه يدافع عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم • وهو ليس بمقصور • ولا يجوز (١) أن يقال فى منع الاستشهاد بقول الفرزدق : انه محمول على الضرورة ، لأن الشاعر لو قال : وانما أدافع عن أحسابهم أو مثلى • لانكسر البيت فعدل الى فعل الغيبة ، وهو يدافع لأنه الذى يمكن معه الفصل دن فعل المتكلم ، لوجوب استتار الضمير فيه • وحينئذ لا يكون فصل الضمير لتضمنه معنى ما والا • فلا يتم الاستدلال على أن انما بمعنى : ما ، والا ، لأنا نقول فى الرد عليه : انه يمكن أن يستغنى عن جعل يدافع غيبة ، ويؤتى به مسندا الى المتكلم ، ويجعل الضمير البارز تأكيدا للضمير المستكن فى الفعل ، فلا يكون فاعلا مفصولا • وذلك بأن يقال: وانما أدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى • والوزن واحد لا يختلف • فلو لم يكن الحصر الموجب لفصل ضمير الفاعل مقصورا لأتى بالتركيب كما ذكرنا •

وقد يقال فى البيت ما يوجب فصل الضمير من غير تقدير أن تكون انما بمعنى ما والا • وذلك بأن تجعل : ما ، موصولة مبتدأ • وأنا • خبر عنها • فيفيد الكلام الحصر بتعريف الطرفين ، لأنا نقول : ان المقام المفخر والاعتداد بالشجاعة والاقدام • فلا يناسب التعبير بما حينئذ وهى لغير العاقل •

قلت : ان انما لم يتفق العلماء على افادتها القصر • فمنهم من يرى أنها تفيد القصر اتضمنها معنى ما والا • وقد بينت ذلك • ومنهم من يرى عدم افادتها لذلك ، كالآمدى وابن عطية وأبى حيان •

---

(١) المطول ٢١٣ •

أما ابن عطية (١) : فيرى أن انما لفظ لا يفارقه المبالغة والتوكيد ويصلح مع ذلك لحصر ان دخل فى قصة ساعدت عليه ، فجعل وروده للحصر مجازا يحتاج الى قرينة (٢) • وتابعه فى ذلك أبو حيان قائلا عند تفسيره لقوله تعالى : « انما نحن مصلحون » (٣) انما : ما : صلة لأن ، وتكفها عن العمل • فان وليتاها جملة فعلية كانت مهيئة •

وفى ألفاظ بعض المتأخرين من النحويين ، وبعض أهل الأصول أتاها للحصر • وكونها مركبة من «ما» النافية دخل عليها «أن» التى للاثبات قول ركيك فاسد صادر عن غير عارف بالنحو •

والذى نذهب اليه : أنها لا تدل على الحصر بالوضع ، كما أن الحصر لا يفهم من أخواتها التى كفت بما • فلا فرق بين لعل زيدا قائم • ولعل ما زيد قائم • فكذلك ان زيدا قائم ، وانما زيد قائم • واذا فهم حصر فانما يفهم من سياق الكلام لأن انما دلت عليه (٤) • وبهذا الذى قررناه يزول الاشكال الذى أورده فى نحو قوله تعالى : « انما أنت منذر » (٥) ، « قل انما أنا بشر » (٦) ، « انما أنت منذر من يخشاها » (٧) •

---

(١) هو عبد الحق بن عطية الغرناطى (٤٨١ ـ ٥٤١ هـ) بغية الوعا فى طبقات اللغويين والنحاة السيوطى ٢/٧٣ ، ٤٤ ط الحلبى ١٩٦٥ •

(٢) فتح البارى ١/١٢ ، المحرر الوجيز ١/٤٧٩ •

(٣) البقرة ١١ ـ البحر المحيط ١/٦٠ •

(٤) ترى فى هذا متابعته الجلية لابن عطية ينظر ـ المحرر الوجيز ١/٤٧٩ •

(٥) الرعد ٧ (٦) الكهف ١١٠ •

(٧) النازعات ٤٥

كما تراه يقول فى قوله تعالى : « انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء » (١) ليست انما الحصر . وانما هى للمبالغة فى التوكيد .

ولكن اذا كان أبو حيان ينفى دلالة انما على الحصر فانك اذا تتبعت بحره المحيط وجدته فى كثير من المواطن يصرح بأن انما تفيد القصر كما فعل ابن عطية : والدليل على ذلك :

يقول ابن عطية فى تفسير قوله تعالى : « انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » (٢) : انما هنا حاصرة . ويقول أبو حيان فى تفسير الآية التى فى سورة النحل (٣) « انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله » . ذكر الله تعالى هذه الأربع فى سورة الأنعام (٤) ، وهذه السورة . وهما مكيتان بأداة الحصر .

كما تراه يقول فى قوله تعالى : « انما هو اله واحد » (٥) وانما نهى عن اتخاذ الالهين ، واستلزم النهى عن اتخاذ آلهة أخبر أنه تعالى اله واحد .

كما قال : والهكم اله واحد ، بأداة الحصر ، وبالتأكيد بالوحدة . كما تراه يقول فى قوله تعالى : « لقالوا انما سكرت أبصارنا » (٦) وجاء لفظ انما مشعرا بالحصر كأنه قال : ليس ذلك الا تسكيرا لا بصستلر .

---

(١) التوبة ـ ٩٣ ـ البحر المحيط ٥/٨٨ .
(٢) البقرة ١٧٣ ، المحرر الوجيز ١/٤٨٢ .
(٣) ١١٥ ـ البحر المحيط ٥/٤٤٤ .
(٤) الآية رقم ١٤٥ (٥) النحل ٥١ . البحر المحيط ٥/٥٠١ .
(٦) الحجر ١٥ ـ البحر المحيط ٥/٤٤٨ .

تراه يقول في قوله تعالى : « انما أنت مذكر » (١) كقوله تعالى : «ان عليك الا ابلاغ » (٢) .

هذا وكما رأيته يصرح بأن انما للقصر أو مشعرة به فيما سبق تراه ينقل كلام ابن عطية فى تفسير قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (٣) فيقول : قال ابن عطية : وانما فى هذه الآية تخصيص العلماء . لا الحصر . وهى لفظة تصلح للحصر ، وتأتى أيضا دونه ، وانما ذلك بحسب المعنى .

أقول ان أبا حيان بهذا يناقض نفسه فى بحره . واذا كان قد أنكر دلالة انما على القصر . وثبت أنه يمنحها تلك الخاصية أحيانا كما يذكر رأى ابن عطية أحيانا أخرى فانك تدهش حينما تراه يقول فى قوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفى ارقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل (٤) .. ولفظة انما ان كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظتها . وان كانت لم توضع للحصر . فالحصر مستفاد من الأوصاف . اذ مناط الحكم بالوصف ، ويقتضى التعليل به ، والتعليل بالشىء يقتضى الاقتصار عليه .

مما تقدم يتضح لنا أن انما مفيدة للقصر سواء كانت عند ابن عطية ومن تابعه كأبى حيان تشعر بالحصر أو للحصر .

---

(١) الغاشية ٢١ البحر المحيط ٨/٤٦٤ .

(٢) الشورى ٤٨ (٣) فاطر ، البحر المحيط ٥/٣١٢ .

(٤) التوبة ٦٠ ـ البحر المحيط ٥/٥٧ ، تفسير النهر المارد لأبى حيان هامش البحر المحيط ٥/٥٧ .

ومن أمثلتها قوله تعالى : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة » (١) .

فاداة القصر انما . والقصر فى هذه الآية يجوز أن يكون من قصر الصفة على الموصوف . بمعنى أنه قصر مراد الشيطان على ايقاع العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، والصد عن ذكر الله ، وعن الصلاة . ويجوز أن تكون من قصر الموصوف على الصفة بمعنى أنه قصر الشيطان على ايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة فى الخمر والميسر . وكقوله تعالى : « انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (٢) . ففى هذه الآية : يحتمل أن يكون قصر موصوف على صفة . أى أن الشيطان «موصوف» مقصور على الأمر بالسوء والفحشاء والقول على الله بلا علم . «صفة» قصرا حقيقيا . ويجوز أن يكون «صفة» الأمر بالسوء والفحشاء . مقصورة على الشيطان «موصوف» وكقوله تعالى : فى شأن الوصية : « فمن بدله من بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم » (٣) فالقصر فى هذه الآية قصر صفة على موصوف . فقد قصر الاثم أو العقاب على الذين بدلوا حكم الوصية . والقصر حقيقى حقيقة أما أنما بفتح االمهزة : فقد عدها من طريق القصر الزمخشرى ، وتبعه الفخر الرازى والبيضاوى وكثير . يقول جار الله رحمه الله فى قوله تعالى : « قل انما يوحى الى أنما الهكم الا واحد » (٤) انما لقصر الحكم على شىء ، أو لقصر شىء على حكم . كقولك : انما زيد قائم ،

---

(١) المائدة ٩١ .

(٢) البقرة ـ ١٦٩ (٣) البقرة ـ ١٨١ .

(٤) الأنبياء ١٠٩ . الكشاف ٥٦٢/٢ ، البيضاوى ٨٣/٢ ، ابى السعود ٨٩/٦ . عناية القاضى . الشهاب الخفاجى ٢٧٩/٢ .

وأنما يقوم زيد • وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية • لأن « انما يوحى الى » مع فاعله بمنزلة : انما يقوم زيد ، « أنما الهكم اله واحـــد » بمنزلة زيد قائم • وفائدة اجتماعهما : ادلالة عـــلى أن الوحى الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مقصور على اســـتئثار الله بالوحدانية • والتقدير (١) : « ما يوحى اى الا أنه لا اله لكم الا اله واحد » وذلك لأن المقصود من بعثته مقصور على التوحيد • فالأولى لقصر الحكم على الشىء ، والثانية على العكس » •

كما صرح التنوخى بأن « ما الزائدة تدخل على هذه الحروف (ان وأخواتها) فتكفها عن العمل ، وتفيد فى ان ، وأن معنى الحصر ، وفى باقى أخواتها معنى التوكيد » •

أما أبو حيان • فقد رفض أن تكون أنما للحصر • يقول ردا على الزمخشرى : « (٢) وأما ما ذكره فى انما انها لقصر ما ذكر • فهـــو مبنى على أن انما لحصر • وقد قررنا أنها لا تكون للحصر • وما مع أن كهى مع كأن ولعل • فكما أنها لا تفيد الحصر فى التشبيه ، ولا الحصر فى الترجى • فكذلك لا تفيده مع أن • وأما ما جعله أنما المفتـــوحة الهمزة • مثل مكسورتها يدل على القصر • فلا نعلم الخلاف الا فى انـــا بالكسر • وأما بالفتح فحرف مصدرى ينسبك منه مع ما بعدها مصدر • فالجملة بعدها ليست جملة مستقلة ، ولو كانت أنما دالة على الحصر، لزم أن يقال ، انه لم يوح اليه شىء الا التوحيد ، وذلك لا يصح الحصر فيه اذ قد أوحى اليه أشياء غير التوحيد » •

---

(١) تفسير البيضاوى ٢/٨٣ •

(٢) الأقصى القريب فى علم البيان ـ التنوخى ص ٨ ط السعادة •

(٣) البحر المحيط ٦/٣٤٤ •

أما ما قاله أبو حيان وهو أن أن المفتوحة حرف مصدرى ينسبك منه مع ما بعدها مصدر لم يكن معها حصر • فجوابه : (١) أن الحصر من اللفظ المصرح به ، ولا يضر فواته بالتأويل • لأن التأويل أمر تقديرى وأما قوله : ولو كانت أنما دالة على الحصر •••• فقد تولى الامام فخر الدين الرازى الاجابة على ذلك من قبل اذ يقول : « (٢) فان قيل: لو دلت أنما على الحصر • لزم أن يقال انه لم يوح الى الرسول شيء الا التوحيد • ومعلوم أن ذلك فاسد • قلنا : المقصود منه المبالغة » •

أما قوله تعالى : « وظن داود أنما فتناه » (٣) فيرى الزمخشرى أنه لا قصر هنا : لان المعنى ليس على تخصيص الفتنة به عليه الصلاة والسلام دون غيره • ولكنها للمبالغة والتأكيد اذ يقول : « لما (٣) كان الظن للغالب يدانى العلم • استعير له ، ومعناه : وعلم داود وأيقن • وقرىء فتناه بالتشديد للمبالغة أما أبو السعود فيرى (٤) أنه ليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه الصلاة والسلام دون غيره • بتوجيه القصر المستفاد من كلمة أنما الى المفعول • ولكن على تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام بالفتنة • بتوجيه القصر الى نفس الفعل • والمعنى : وعلم داود عليه السلام أنما فعلنا به الفتنة لا غيره وهذا من قصر الموصوف على الصفة •

وفى الحقيقة أن أبا حيان كما ناقض نفسه فى دلالة انما على القصر ، فعل كذلك فى أنما • تراه يقول فى قوله تعالى : « وأطيعوا الله

---

(١) حاشية الأمير على مغنى اللبيب ٣٨/١ •
(٢) التفسير الكبير ٢٣٢/٢٢ •
(٣) ص ٢٤ الكشاف ٣٧١/٣ •
(١) تفسير أبى السعود ٢٢١/٧ ، ٢٢٢ •

وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنمـا على رسـولنا البلاغ المبين » (١)

أى : فان أعـرضتم فليس عـلى الرسـول الا أن يبلغ أحكـام الله ، وليس عليه خلق الطاعة فيكم ، ولا يلحقه من توليكم شىء بل ذلك لا حق بكم • وفى هذا من الوعيد البالغ ما لا خفاء به • اذ تضـمن أن عقابكم انما يتولاه المرسل لا الرسول • وما كلفت الرسول من أمر غير تبليغكم ولهذا يقول الدسوقى : « (٢) واعلم أن الموجب للحصر فى انما بالكسر موجود فى أنما بالفتح • فمن قال بسبب افادة انمـا الحصر تضمنها معنى ما وإلا • قال بذلك فى انما المفتوحة • لوجود هذا السبب فيهـا •

ومن قال : ان السبب اجتماع حرفى توكيد قال به فى أنما أيضا لـذلك » •

★ ★ ★

٣ ــ الطريق الثالث من طرق القصر : تقديم ما حقه التأخير :

وذلك كتقديم الخبر على المبتدأ : كقولك : محب لرسول الله أنا فهذا من قصر الموصوف على الصفة • والمقصور عليه هو المقـدم ، وكتقديم المسند اليه على الخبر الفعلى اذا ولى حرف النفى نحـو : ما أنا قلت هذا الشعر •

أما اذا لم يل المسند اليه المقدم على خبره الفعلى حرف النفى فقد يفيد القصر مثل : أنا سعيت فى حاجتك ، وأنت سعيت فى حاجتى •

---

(١) المائدة ــ ٩٢ ــ لبحر المحيط ٤/١٥ •

(٢) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/١٩٤ •

ويكون من قصر الصفة على الموصوف افرادا وقلبا وتعيينا بحسب اعتقاد المخاطب • وقد يفيد التقوى مثل قولهم : « هو يعطى الجزيل• وكقوله تعالى : « واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون » (١)

وكذلك تقديم النكرة على الخبر الفعلى مثل : رجل جاءنى • يفيد قصر الجنس ويكون المراد : رجل جاءنى لا امرأة • أو العدد • ويكون المعنى : رجل جاءنى لا رجلان •

وتقديم المعمولات على الفعل من مفعول وظرف ، وجار ومجرور يفيد القصر غالبا • والمقصور عليه هو المقدم دائما • مثاله فى المفعول قول الحق : « اياك نعبد واياك نستعين »(٢) فتقديم المفعول « اياك » على الفعل يفيد ، نستعين • لقصد الاختصاص • وهذا من قصر الموصوف (العبد) على صفة العبادة لله ، والاستعانة به • ومنه قوله عز اسمه : « وله ملك السموات والأرض والله على كل شىء قدير » (٣) فهذا من قصر الموصوف « ملك السموات والأرض » على الجار والمجرور (لله) صفة • قصرا حقيقيا تحقيقيا • ومنه قول أمير الشعراء بمدح سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام :

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة باحق من ملل الهدى غراء

فهذا من قصر الصفة على الموصوف قصر حقيقيا • كما تقول : راكبا حضرت فى تقديم الحال ، وفى المسجد صليت ، وظهرا وصلت ، وكله من قصر الموصوف على الصفة قصرا اضافيا • ويكون من قصر الافراد ، أو القلب ، أو التعيين بحسب اعتقاد المخاطب •

---

(١) الفرقان : ٣ •
(٢) أم القرآن ـ ٥ •
(٣) آل عمران ١٨٩ •

هذا : وتقديم ما حقه التأخير : انما يفهم منه القصر بالفحوى لأنه ليس متضمنا معنى يدل على النفى والاستثناء • فالسياق هو الذى يوضح لنا ذلك • اذ أن كثيرا مما قدم فيه ما حقه التأخير لا يفيد القصر بل ان كثيرا من الضوابط التى وضعها العلماء لافادة القصر فى جهة ما • قد لا تكون قاطعة بل يكون بالأغلبية ، والحديث عن تقديم ما حقه التأخير يستدعى تفصيلا فيما يختص بالقصر • اذ أن ما أزجيته قبلا فى هذا الباب •• انما هو بمثابة توطئة كى نتعرف منها على أن التقديم انما يدل على القصر بالسياق وحده •

والحديث فى هذا الباب ينحصر فى الموضوعات الآتية :

١ ــ تقديم المسند اليه على الخبر الفعلى

وهذا ينقسم قسمين :

أولهما : أن تسبق أداة النفى المسند اليه •

ثانيهما : ألا تسبق أداة النفى المسند اليه • بل تتأخر عنه •

أو لم يوجد لها شبح فى الكلام أصلا ، وكان المسند اليه معرفة أو ضميرا • أو نكرة •

وعلى ذلك •• فالمسند (١) اليه اذا تقدم على الخبر الفعلى • وكان المسند اليه واليا حرف النفى نحو : ما أنا قلت هذا الشعر فالمسند اليه ضمير • أو قولك : ما محمد قال هذا الشعر • فالمسند اليه معرفة • أو قولك : ما رجل قال هذا الشعر فالمسند اليه نكرة •فان عبد القاهر وجمهور البلاغيين يجعلون هذا التركيب مفيدا للتخصيص، لأن قولك السابق يدل على أن الفعل ثابت وموجود ، وأنه منفى عن

---

(١) ينظر دلائل الاعجاز ١٢٤ ، بغية الايضاح ١/١٠٩ •

المسند اليه المقدم ومثبت لغيره • على حسب النفى عموما وخصوصا وهذا : يمكن أن يكون قصر قلب فى حالة الرد على من زعم انفراد المسند اليه بهذا الفعل دون غيره • ويكون قصر افراد فى حالة الرد على من زعم اشتراك ذلك الغير مع المسند اليه • والمراد بالغير شخص معين هو موضوع النزاع • لأن التخصيص انما هو بالنسبة الى من توهم المخاطب اشتراكه مع المسند اليه فى الحكم • أو من توهم انفراد المسند اليه به • فهو قصر اضافى بالنسبة الى معين لا الى جميع الناس وفى المثال الثالث وهو : ما رجل قال هذا الشعر : يكون قصر قلب ردا على من زعم أن الذى قام به امرأة لا رجل • فيكون تخصيصا للجنس ويكون قصر افراد • ردا على من زعم أن الذى قام به رجلان أو أكثر فيكون تخصيصا للوحدة •

هذا : وثبوت الحكم للغير ينبغى أن يكون على الوجه الذى انتفى به عن المسند اليه من العموم والخصوص قضاء لحق التخصيص •فاذا كان المنفى عن المسند اليه خاصا • كان الثابت لغيره كذلك • ففى قولنا ما أنا قلت هذا الشعر • تنفى فيه عن نفسك شيئا خاصا وهو قول شعر معين فيجيب أن يثبت لغيرك قول الشعر تحقيقا لمعنى الاختصاص •وان كان المنفى عن المسند اليه عاما • كان الثابت لغيره كذلك • فيكون من القصر الحقيقى • وقد استدل (١) الشيخ على أن التقديم فى هذه الحالة يقتضى وجود الفعل ونفيه عن المسند اليه المقدم واثباته لغيره بقول المتنبى :

وما أنا أسقمت جسمى به ولا أنا أضرمت فى القلب نارا

ثم عقب على ذلك قائلا : « المعنى كم الا يخفى على أن السقم ثابت موجود ، وليس القصد بالنفى اليه • ولكن الى أن يكون هو

---

(١) دلائل الاعجاز ١٢٥ •

الجالب له ، ويكون قد جره الى نفسه » • من الملاحظ أن النفى فى هذا ظاهر • وأما الاثبات فهو ضمنى •

وبناء على ذلك : فانه لا يصح لك أن تقول :

١ ــ ما أنا رأيت أحدا من الناس : لأن هذا الأسلوب يقتضى أن الفعل ثابت وموجود • وأنه منفى عن المسند اليه المقدم ، وأنه مسند لغيره على الوجه الذى نفى عليه من عموم أو خصوص • ورؤية شىء على العموم أمر ثابت متفق عليه بين المتكلم والمخاطب • وقد أخذ العموم من وقوع النكرة فى سياق النفى • لأنها حينئذ تعم ، وأن المتكلم ينفيه عن نفسه ، وأنه يثبته لغيره عاما • وذلك يقتضى المحال • وهو أن يكون هناك انسان قد رأى لكل أحد من الناس وما اقتضى المحال محال •

وقد حاول سعد الدين أن يجعل المنفى هو رؤية انسان فيصح التركيب فيكون المثبت للغير أنه رأى انساناً • ولا استحالة فى ذلك ، ولا داعى المقتضى للفساد » (١) « ولكن (٢) هذا من ناحية التوجيه المنطقى صحيح • أما من حيث الأسلوب ودلالاته بوضوح على المعنى• فلصير فى البيان عبد القاهر الرأى السديد » •

٢ ــ ما أنا ضربت زيدا ولا ضربه أحد سواى • لأن هذا الأسلوب يقتضى أن الفعل ثابت متفق عليه ، وأنه منفى عن المقدم ، ومثبت لغيره ، وقولك : ولا قاله أحد من الناس يفيد أنه منفى غير الغير • وهذا تناقض •

---

(١) المطول ١٠٩ ، ١١٠ •

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر فى التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير • المرحوم عبد الهادى المطول ص ٢٧٣ ط دا الفكر ١٩٤٩

٣ ــ **مــا أنا ضربت الا زيدا** : لأن نقض النفى بالا يقتضى أن تكون ضربت زيدا • وتقديمك ضميرك ، وايلاؤه حــرف النفى يقتضى ألا تكون ضربته فهما يتدافعان • وقد وافق (١) السكاكى الشيخ على ذلك • وقد علل السعد ذلك بأنه (٢) يقتضى أن يكون غيرك قد ضرب كل أحد الا زيدا وهو لا يكون • وهذا تعليل مقبول •

أما الخطيب القزوينى فلم يرتض ما علل به الشيخ لفساد هذا الأسلوب وقال : (٣) لا نسلم أن ايلاء الضــمير حــرف النفى يقتضى ذلك «أى ألا يكون زيد مضروبا » فان قيل الاستثناء الذى فيه مفرغ وذلك يقتضى ألا يكون ضرب أحدا من ا ناس ، وذلك يستلزم ألا يكون ضرب زيدا قلنا : ان لزم ذلك • فليس للتقديم لجريانه فى غير صورة التقديم أيضا كقولك : ما ضربت الا زيدا : وبهذا لا يكون هناك تناقض عنده ولذلك يقول سعد الدين التفتازانى مدافعا عن الخطيب : « ما(٤) ذكره المصنف ليس مخالفة لهم فى مجرد ا تعليل بل يظهر أثرها فى نحــو قولنا ما أنا قرأت القرآن الا سورة الفاتحة • فانه لا امتناع فيــه عند الخطيب لجواز أن يكون أحد قرأ القرآن سوى سورة الفاتحة ، وعند الشيخ والسكاكى يمتنع هذا لاقتضائه أن تكون الفاتحة مقروءة للمتكلم غير مقروءة له • وهذا محال » •

ومن شواهد هذا الباب من بديع القول قوله تعالى : « وان نشــأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون » (٥) وقوله تعــالى : ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ، يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هــم ينصرون » (٦)

---

(١) المفتاح ١١ •
(٢) المطول ١١٢ •
(٣) بغية الايضاح ٢/١١٠ ، ١١١ •
(٤) المطول ١١٣ ، شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ١/٣٩٩ •
(٥) يس ٤٣ •
(٦) الدخان : ٤ •

وقوله سبحانه : « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا نستعين به ــ وقد نفى ذلك أبو حيان وقال « التقديم عندنا

هذا : ولم يتعرض الشيخ عبد القاهر للمسند اليه اذا ولى حرف النفى وكان الخبر مشتقا • وفى الواقع أن ذلك يفيد التخصيص غالبا كقوله تعالى « وما أنت بمسمع من فى القبور » (٢) ، وقوله : وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » (٣) وقوله عز اسمه : « وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم » (٤) •

وانما قلت غالبا : لأن هناك شواهد ولى المسند اليه فيها حرف النفى وكان الخبر فيها مشتقا ومع ذلك لا دلالة على القصر فيها كقوله تعالى : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » (٥) ، « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » (٦) وقوله : « وما هم بخارجين من النار » (٧) والمراد منها التوكيد كما أنك تجد المسند اليه مقدما واليا حرف النفى والخبر فعل ومع ذلك لا يفيد التقديم التخصيص : كقوله تعالى : « بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون » (٨) فالتقديم هنا للتأكيد وبهذا يتضح لنا أن تقديم المسند اليه فى هذه الحالة يفيد التخصيص غالبا •

أما (٩) اذا لم يقع المسند اليه بعد نفى : فاما ألا يقع فى الكلام نفى أصلا كما فى قولك : محمد سعى فى حاجتك ، أنا كتبت فى شأنك ، رجل عنى بمسألتك • أو يتأخر النفى عن المسند اليه كما فى قولك :

---

(١) البقرة ٤٨ (٢) فاطر ٢٢ •

(٣) يوسف ١٧ (٤) النمل ٨١ •

(٥) القلم ٣ (٦) البقرة ٨

(٧) البقرة ١٦٧ (٨) الأنبياء ٤٠

(٩) بقية الايضاح ١/١١ ، دلائل الاعجاز ١٢٨ •

محمد ما سعى فى حاجتك ، أنا ما كتبت فى شـــأنك • رجل ما عنى بمسألتك » •

ففى هاتين الحالتين قد يكون الكلام مفيدا للتخصيص ، وقـد يكون مفيدا لتقوى الحكم حسبما يقتضيه المقام • فان كان المتكلم فى حالة الرد على منازع فى الحكم كان الكلام مفيدا للتخصيص • وان كان القصد الى مجرد الحكم على المسند اليه ، كان الكلام مفيدا للتقوى • فاذا كان التخصيص فقد يكون المنفى عاما أو خاصا • فاذا كان عامـا فيكون من القصر الحقيقى • واذا كان خاصـــا فيكـــون من القصر الاضافى •

هذا هو ما قاله جمهور البلاغيين والحقيقة أن هذا أكثرى أيضـا لا كلى • فهناك من الأساليب ما تقدم فيها المسند اليه على خـــبره الفعلى وكان الكلام خاليا من النفى ومع ذلك تفيد الاختصاص كقـوله تعالى : هو أنشأكم من الأرض » (١) ، « الله يبسط الرزق لمن يشاء »(٢) « ومن أهل المدينة مردودا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » (٣) ، « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها » (٤) •

أما الامام السكاكى فهو وان كان يتفق مع البلاغيين فى أن تقديم المسند اليه يفيد التخصيص لكن له فيه مذهب يخـــالفهم : وملخص مذهبه (٥) أنه لا يعول على نفى تقدم أو تأخر • وانما بحثه يدور حول المسند اليه نفسه : فاذا كان ضميرا كان الكلام مفيدا للتخصـــيص والتقوى نحو : أنا قرأت الصحيفة ، واذا كان اسما ظاهرا معرفه امتنع

---

(١) هود ٦١ (٢) العنكبوت ٦٢ •
(٣) التوبة ١٠١ (٤) الزمر ٢٣ •
(٥) بغية الايضاح ١/١١٧ •

التخصيص وتعين الكلام لافادة التقوى نحو على قام بالأمر • أما اذا كان نكرة أفاد الكلام التخصيص قطعا نحو : رجل وفد علينا •

وعلى ذلك فالسكاكى يشترط لافادة التخصيص شرطين :

١ — أن يكون المسند اليه جائزا تقديره مؤخرا فى الأصل على أنه فاعل فى المعنى لا فى اللفظ • بأن يكون توكيدا لفاعل الاصطلاحى أو بدلا منه •

٢ — أن يعتبر ذلك ويقدر الفعل أنه كان مؤخرا فى الأصل ، ثم قدم لأجل افادة التخصيص • فاذا وجد هذان الشرطان تعين الكلام للتخصيص ، وحيث فقدا أو أحدهما تعين الكلام للتقوى • وبيان ذلك ••

أن تقدر أن أصل العبارة مثلا فى قولك « أنا قمت » هو « قمت أنا » أى أن المسند اليه • وهو « أنا » كان مؤخرا فى الأصل على أنه فاعل فى المعنى • ومن حيث اللفظ : تأكيد لتاء الخطاب • ثم حدث التقديم فصارت الجملة « أنا قمت » لافادة التخصيص • فان يجز تقدير تأخير المسند اليه ، أو جاز ولم يقدر تأخيره بالفعل • نحو محمد قدم وأنا قدمت • انتفى التخصيص وتعين التقوى لفقدان الشرطين فى الأول • وأحدهما فى الثانى •

وفى قوله : على قام بالأمر : لا يجوز التقدير • لأنه سيكون فاعلا فى اللفظ والمعنى • فيتعين الكلام للتقوى • أما فى رجل وفد علينا فلا يجوز التقدير السابق ونقول : وفد علينا رجل • لأنه سيكون فاعلا فى اللفظ والمعنى فيتعين الكلام للتقوى • ولكن السكاكى ذهب فى التقدير مذهبا مؤداه • أنك اذا اعتبرت الأصل : وفد رجل علينا،فيكون « رجل » بدلا من الضمير المستتر فى الفعل ليكون فاعلا فى المعنى على

هذا التقدير ، ثم قدر تقديمه لافادة التخصيص • ولقد اضطر السكاكى الى هذا التخريج لأن النحاة جوزوا الابتداء بها • ولا يتأتى له التخصيص فى النكرة الا من هذا الطريق ، وفى الحقيقة • أن ماذهب اليه السكاكى فيه من التعسف ما فيه • اذ أن العربية تأبى ذلك الطريق لفهم معانيها •

تقديم المسند المفيد للتخصيص

من المسلم به أن الجمل الفعلية يسبق فيها الفعل فاعله ، أما الجمل الاسمية • فالشأن فيها أن يقدم المبتدأ « المسند اليه » • وقد يقدم المسند فى الجلة الاسمية لافادة تخصيصه بالمسند اليه •(١) أى قصر المسند اليه على المسند •• كقولك : مصرى أنا • فتقديم المسند هنا أفاد قصر المتكلم على المصرية • فهو من قصر الموصوف على الصفة • فان كان القصر على المصرية بالنسبة للشامية مثلا كان القصر اضافيا • وان كان القصر على المصرية بالنسبة الى غيرها من سائر الصفات بأن لم تعتد بصفة غير المصرية كان القصر حقيقيا ادعائيا • ومنه قوله تعالى : « واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا » (٢) فانما قدم المسند (شاخصة) ولم يقل : فاذا هى أبصار الذين كفروا شاخصة • لأنه اذا قدم الخبر أفاد أن الأبصار مختصة بالشخوص من بين سائر صفاتها من كونها حائرة أو مطموسة أو مزورة • أى لبست هى الا شاخصة • ولو قال : واقترب الوعد الحق فشخصت أبصارهم لم يعط من هذا الأسرار معنى واحدا » •

---

(١) بغية الايضاح ١/٢٠٠ ، المطول ١٨٤ •

(٢) الآية ٧٩ ـ الأنبياء ـ البرهان فى علوم القرآن • الزركشى ٣/٢٧٦ بيروت ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز • العلوى ٢/٦٩ • ط بيروت •

وقوله تعالى : « لكم دينكم ولى دين » (١) أى أن دينكم مقصور عليكم ، ودينى مقصور على • أى اذا لم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك » وقوله تعالى : « ألا الى الله تصير الأمور (٢) » أى أمور ما فى السموات ، وما فى الأرض قاطبة لا الى غيره • وقوله سبحانه : « ان الينا ايابهم ، ثم ان علينا حسابهم » (٣) • أى الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد سوانا وعلينا حسابهم فى المحشر لا على غيرنا • ، وقواه تعالى : « له الملك وله الحمد (٤) » أى ليس الملك لأحد الا لله • فهذه الظروف لا وجه لتقديمها على عاملها الا ما ذكر من الاختصاص •

ويرى ابن الأثير (٥) وتابعه العلوى أن الظرف اذا قدم فى حالة الاثبات فقد يراد به التخصيص — واستدلوا على ذلك بالأمثلة السابقة — وقد يراد به مراعاة المشاكلة ارءوس الآى فى التشجيع ، ومن أمثلتهم التى أزجوها ليؤيدوا بها غرضهم قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » (٦) وقواه تعالى : « والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق (٧) » • وقوله سبحانه : « الى ربك يومئذ المستقر » (٨) ، وقوله عز اسمه : « عليه توكلت واليه أنيب »(٩) ويستدلون على ذلك بأن التقديم هنا لمراعاة حسن التنظيم فى الكلام • أما الاختصاص فمفهوم من طبيعة المعنى • وفى الحقيقة أن هذه

---

(١) الكافرون • الكشاف ١٩٣/٤ ، تفسير أبى السعود ٢٠٧/٩ •
(٢) الشورى ٥٣ • تفسير أبى السعود ٣٨/٨ •
(٣) الغاشية ٢٥ ، ٢٦ تفسير أبى السعود ١٥٢/٩ •
(٤) التغابن ١ ، تفسير أبى السعود ٣٥٥/٨ ، الطراز ٧١/٢ •
(٥) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر • ابن الأثير ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ طبعة الهيئة ١٢٨٢ هـ •
(٦) القيامة : ١٢ • ٢٣ (٧) القيامة ٢٩ ، ٣٠
(٨) القيامة : ١٢ (٩) هود ٨٨ •

الآيات يراد بها التخصيص أولا ، ولا مانع من أن يراد بها المشاكلة لرءوس الآى • فتكون فيها فائدة معنوية • وهى الاختصاص ، وفائدة لفظية وهى مشاكلة رءوس الآيات وهكذا ترى التقديم فى حالة الاثبات ليس محل اتفاق بين البلاغيين أما التقديم فى حالة النفى فيفيد الاختصاص باتفاق البلاغيين كقوله تعالى : « لا فيها غول » (١) فتقديم المسند هنا وهو الجار والمجرور لافادة قصر المسند اليه على المسند ؛ غير (٢) أن افادة النفى اما أن تعتبر فى جانب المسند بأن تجعل جزءا منه ، واما أن تعتبر فى جانب المسند اليه • فان اعتبرت فى جانب المسند بأن جعلت جزءا منه كان المراد قصر الغول على اتصافه بعدم حصوله فى خمور الجنة فلا يتجاوزه الى اتصافه بعدم حصوله فى خمور الدنيا وان تجاوزه الى اتصافه بالذم مثلا • فهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا اضافيا • وان اعتبر فى جانب المسند اليه • بأن جعل جزءا منه • كان القصد • قصر عدم الغول على اتصافه بحصوله فى خمور الجنة • فلا يتجاوزه الى اتصافه بحصوله فى خمور الدنيا • وان تجاوزه الى اتصافه بحصوله فى غيرها من المشروبات كاللبن والعسل وهو أيضا من قصر الموصوف على الصفة قصرا اضافيا » •

ودليل كون التقديم يفيد التخصيص قوله تعالى : « لا ريب فيه (٣) » لم يتقدم الظرف (فيه) على المسند اليه (ريب) ولم يقل : لا فيه ريب لئلا يتوهم تقديمه عليه ثبوت الريب فى سائر كتب الله تعالى بناء على اختصاص عدم حصول الريب بالقرآن ، مع أن الريب منتف عنها •

---

(١) الصافات ٤٧ ـ المنهاج الواضح ٤/٢٨٦ •
(٢) شروح التلخيص حاشية الدسوقى ٢/١١١ •
(٣) البقرة ٢ ـ البرهان فى علوم القرآن ٣/٢٢٧ ، الطراز ٢/٧٢ •

٣ ــ التقــديم فى المتعلقات

والمتعلقات تشمل شيئين :

الأول : تقديم المتعلق بالكسر على الفعل •

والثانى : تقديم بعض المعمولات على بعض •

أما الأول فمنــــه فى الاثبات قوله تعــــالى : « ان كنتم اياه تعبدون » (١) أى ان كنتم تخصونه بالعبادة ــ وكقوله تعالى : « اياك نعبد واياك نستعين » (٢) أى نخصك بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعين به ــ وقد نفى ذلك أبو حيان وقال « التقديم عنــدنا انما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول » •

أما ابن الأثير فقد كان موقفه مضطربا فى الحديث عن تلك الآية• فمرة يقول ان التقديم فيها للاختصاص (٣) ، ومرة آخــــرى يرى أنه للحفاظ على نظم الكلام لمراعاة حسن النظم السجعى الذى هو عــلى حرف المتون • ثم يقول معرضا بالزمخشرى : (٤) وهذا غير خــاف على أحد من الناس فضلا عن أرباب البيان ، وأرجى أمثلة أشــــار فيها الى أن التقديم انما هو مراعاة لنظم الكلام ؛ أو حرصا على النغم السجعى منها قوله تعالى : « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه » (٥) ثم عقب على ذلك قائلا : « فان تقديم الجحيم على التصلية انما هو للفضيله السجعية » • وقد سايره العلوى فقال : (٦) « والمختار عنــــدنا أنه

---

(١) النحل ١١٤ ــ البرهان فى علوم القرآن ٣/٢٣٦ •

(٢) أم القرآن ٥ • الكشاف ١/٦١ ، ٦٢ ــ البحر المحيط ١/٢٤ •

(٣) الجامع الكبير فى صناعة المنظوم والمنثور• ابن الأثير ت د• مصطفى جواد د• جميل سعيد ط العراق •

(٤) المثل السائر ٢٧٦ •

(٥) الحاقة ــ ٣٠ ، ٣١ (٦) الطراز ٢/٦٧ •

لا منافاة بين الأمرين فيجوز أن يكون التقديم من أجل الاختصاص والتشاكل • فيكون فى التقديم مراعاة لجانب اللفظ والمعنى جميعا • فالاختصاص أمر معنوى ، والتشاكل لفظى •

(ب) أما اذا كان المتعلق فى حالة النفى فانه يفيد التخصيص دائما كقولك : ما محمدا أكرمت • فهذا فيد للتخصيص قطعا عند الامام والجمهور • وبناء (١) على ذلك لا يصح أن تقول : ما محمدا أكرمت ولا غيره فى مقام الرد على من اعتقد أنك أكرمت محمدا • لأن تقديم المفعول يفيد وقوع الاكرام على غير محمد • تحقيقا لمعنى الاختصاص•

وقولك ولا غيره • ينفى وقوع الاكرام على غير محمد • فيكون منطوق ولا غيره • مناقضا لمفهوم • ما محمدا أكرمت • كما لا يصح أن تقول : ما عمرا أهنت لكن أكرمت • فى مقام الرد على من اعتقد أنك أهنت عمرا • لأن تقديم المفعول يفيد أنك أهنت غير عمر وقضاء لحق الاختصاص فالنزاع حينئذ فى متعلق الفعل المذكور • هل هو عمرو أو غيره • وليس النزاع فى الفعل نفسه • هل هو الاهانة أو الاكرام • فالصواب حينئذ أن يقال : لكن بكرا •

ولكن ليس التقديم فى حالة النفى مفيدا للتخصيص على الاطلاق • بل قد يكون هناك تقديم ولا تخصيص كقوله تعالى : « أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون • ولا يستطيعون لهم نصيرا ولا أنفسهم ينصرون » (٢) فتقديم المفعول هنا ليس للاختصاص بل للمشاكلة » •

---

(١) دلائل الاعجاز ١٢٧ •

(٢) الأعراف ١٩١ ، ١٩٢ ، تفسير أبى السعود ٣/٣٠٥ •

أما تقديم بعض المعمولات على بعض فيرى ابن السبكى أن ذلك لا يفيد الاختصاص • ثم يقول (١) « وبقى من أسباب تقديم بعض المعمولات على بعض افادة الاختصاص كما تقدم عن ابن الأثير فى نحو : ان الينا ايابهم (٢) وجاء راكبا زيد • لكنه مخالف لكلام الجمهور » •

★ ★ ★

٤ ــ (**العطف بلا • أو بل • أو • لكن**) : يرى البلاغيون أن العطف بلا أو بل • أو لكن • أقوى طرق القصر للتصريح فيه بالطرفين • المثبت والمنفى بخلاف غيره • فان النفى هناك ضمنى • ثم النفى والاستثناء أصرح من انما • وأخر التقديم عن الكل • لأن دلالته على القصر ذوقيه لا وضعية ، والعطف يكون للقصر الحقيقى والاضافى وذلك لأنه اذا كان المعطوف خاصا نحو : زيد شاعر لا عمرو • فالقصر اضافى وان كان عاما نحو : زيد شاعر لا غير زيد • « كان القصر حقيقيا » (٣) •

هذا ما قيل فى شأن هذا الطريق • وفى الحقيقة أن هذا مخالفة للحقيقة كما سيتضح لنا ان شاء الله بعد تفصيل القول فى كل أداة وعلى الله التكلان •

١ ــ (**العطف بلا**) : لا : حرف عطف كما يقول الجمهور • وهى تقع لاخراج الثانى مما دخل فيه الأول (٤) •• بمعنى • أنها تنفى

---

(١) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ٢/١٥١ ، ١٦٥ •
(٢) الغاشية ٢٥ ــ ابن الأثير ٢٧٨ •
(٣) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/١٨٦ •
(٤) المقتضب • لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد • ت المرحوم الشيخ عضيمة ١/١٤٩ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية •

الحكم الثابت للمعطوف عيه عن المعطوف (١) • كقولك : ضربت زيدا لا عمرا ، ومررت برجل لا امرأة • وشرط العطف بها (٢) : ان يتقدمها اثبات• كجاء زيد لا عمرو ، وألا تقترن بعاطف • فاذا قيل : جاءنى زيد لا بل عمرو • فالعاطف بل • ولا • رد لما قبلها • وليست عاطفة• واذا قلت : ما جاءنى زيد ولا عمرو • فالعاطف الواو • ولا • لتأكيد النفى • وفى هذا المثال مانع آخر من العطف بلا • وهو تقديم النفى ، وقد اجتمعا فى قوله تعالى : «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» (٣) فهى هنا منفية ، ومقترنة بعاطف • وشرط العطف بلا أيضا أن يكون معطوفهما مفردا • كقولك : هذا زيد لا عمرو (٤) • فلو قلت : جاءنى رجل لا زيد لا يصحح • و «لا» كما يرى الخطيب صالحة لكل أنواع القصر • والمقصور عليه هو المقابل لما بعد لا ــ والمدار فى ذلك على المعطوف • فان كان عاما فالقصر حقيقى نحو : جرير شاعر لا غير جرير • فى قصر الصفة على الموصوف • فقد قصرت صفة الشاعرية على جرير دون سائر الناس • ونحو : عبد الحميد ناثر لا غير ناثر • فى قصر الموصوف على الصفة • فقد قصر عبد الحميد على صفة النثر دون غيرها من سائر الصفات ــ غير أن القصر الحقيقى لا يتحقق فى مثل هذين المثالين الا على سبيل الادعاء • وان كان المعطوف خاصا كان القصر اضافيا ، كقولنا فى المثال الأول : جرير شاعر لا عبد الحميد،

---

(١) الفوائد الضيائية • شرح كافية ابن الحاجب • نور الدين عبد الرحمن الجامى ٢/٣٦٢ ط بغداد ، المقتصد فى شرح الايضاح لعبد القاهر الجرجانى ت د• كاظم بحر المرجان ٩٤٦ ط بغداد •

(٢) مغنى اللبيب ١/١٩٦ •

(٣) أم القرآن ٧ • حاشية الأمير على المغنى ١/١٩٧ شرح التصريح على التوضيح ٢/١٤٩ •

وكقولنا فى المثال الثانى : عبد الحميد ناثر لا ناظم • ويكون الاضافى قلبا • أو افرادا • أو تعيينا حسبما تقتضيه حال المخاطب • ومنه قول الشاعر :

عمر الفتى ذكره لا طول مدته
وموته خزيه لا يومه الدانى

ففى كل شطر من هذا البيت قصر • ففى الشطر الأول : قصر العمر على الذكر قصر موصوف على صفة • وفى الشطر الثانى قصر الموت على الخزى • قصر موصوف على صفة أيضا • وهذا قصر قلب لأنه رد على مخاطب يعتقد العكس • وهذا ما قالوه فى العطف بلا •

وقد ذكر عبد القاهر : أن « لا » تكون لقصر القلب دون الافراد يقول فى ذلك : « اعلم (١) أن قولنا فى لا • العاطفة : انها تنفى عن الثانى ما وجب للاول • ليس المراد به أنها تنفى عن الثانى أن يكون الفعل الذى قلت انه كان من الأول قد كان من الثانى دون الأول : الا ترى أن ليس المعنى فى قولك : جاءنى زيد لا عمرو • أنه لم يكن من عمرو مجىء اليك مثل ما كان من زيد حتى كأنه عكس قولك : جاءنى زيد وعمرو • بل المعنى أن الجائى هو زيد لا عمرو • فهو كلام لقوله مع من يغلط فى الفعل قد كان من هذا • فيتوهم أنه كان من ذلك • والنكتة أنه لا شبهة فى أن ليس هاهنا جائيان • وأنه ليس الا جاء واحد • وانما الشبهة فى أن ذلك الجاى زيد أم عمرو • فأنت تحقق على المخاطب بقولك : جاءنى زيد لا عمرو • أنه زيد وليس بعمرو • ونكتة أخرى • وهى أنه لا تقول : جاءنى زيد لا عمرو • حتى يكون قد بلغ المخاطب أنه كان مجىء اليك من جاء • الا أنه ظن أنه كان عمرو • فأعلمته أنه لم يكن من عمرو ولكن من زيد » •

---

(١) دلائل الاعجاز ٣٣٥ ـ ٣٣٦ •

ولكن يجب أن نعلم أن عبد القاهر تكلم على « لا » حينما أراد أن يثبت أن النفى فى انما ضمنى • أما النفى فى « لا » فظاهر ومعنى هذا انه لم يخصها بالحديث ، كما لم يشر الى أنها من طرق القصر ويرى العلامة عبد الحكيم ، أن قصر التعيين لا يؤدى بالعطف بلا ، أو بل ، أو لكن » •

أما السبكى فيقول (١) : « أما العطف بلا : فأى قصر فيه ؟ انما فيه نفى واثبات • فقولك : زيد شاعر لا كاتب • لا تعرض فيه لنفى صفة ثالثة ، والقصر انمـا يكون بنفى جميع الصفات غير المثبت اما حقيقة ، أو مجازا ،وليس هو خاصا بنفى الصفة التى يعتقدها المخاطب كما يقول العصام (٢) : « ولا يذهب عليك أن طريق العطف مخصوص بغير الحقيقى» كما ترى ابن يعقوب يقول (٣) : « ثم المشهور عندهم أن القصر الحاصل بالعطف لا يكون الا اضافيا • لأن الاثبات انما هو باعتبار ما نفى من العطف • والحق أنه أكثرى لا كلى • لصحة كونه من الحقيقى اذا كان المنفى هو جميع ما سوى المذكر كقولك زيد عالم البلد لا غيره • اذا فرض أن لا عالم فى البلد سواه • وكقولنا : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء لا غيره » •

أما السيوطى • ففى الاتقان (٤) نقل كلام السبكى ولم يمثل للعطف وفى شرح عقود الجمان (٥) : ذكر طرق القصر ومثل لكل منها •

ـــ وبعـد هذا يمكن أن أقول فى اطمئنان ـــ ان هذه الخلافات ترجح لنا •

---

(١) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ٢/١٨٧ •
(٢) الأطول ٢/٢١٩ •
(٣) ٣/١٧٠ (٤) ٣/١٧٠ •
(٥) ص ٤٤ ط عيسى الحلبى ١٣٥٨ هـ •

ـ مذهب البلاغيين الذين أخرجوا العطف من طرق القصر • اذ أنه يذهب بمزية الايجاز فى القصر للتصريح فيه بالاثبات والنفى • ومع ذلك فهو عند من عده من طرق القصر • تكون بلاغته أقل من غيره •

بل :

يرى صاحب القاموس (١) : أنها حرف اضراب • فان تلاها جملة كان معنى الاضراب : اما الابطال كقوله تعالى : « سبحانه بل عباد مكرمون » (٢) واما الانتقال من غرض الى غرض آخر كقوله تعالى : « فصلى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا » (٣) • وان تلاها مفرد فهى عطاقة • ثم ان تقدمها أمر أو ايجاب • كاضرب زيدا بل عمرا ، أو قام زيد بل عمرو فهى تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه ، وتثبت الحكم لما بعدها • وان تقدمها نفى أو نهى فهى تقرير ما قبلها على حاله ، وجعل ضده لما بعدها • ويجوز أن ناقلة معنى النفى والنهى الى ما بعدها • فيصح ما زيد قائما ، بل قاعدا ، وبل قاعد • ويختلف المعنى • ومنع الكوفيون أن يعطف بها بعد غير النهى وشبهه • فلا يقال : ضربت زيدا بل اياك •

وفى الحقيقة أن هناك بحوثا كثيرة (٤) ، واختلافات لم تنته حول فهم المراد من بل • اذ أنهم اشترطوا للعطف بها : أن يكون معطوفها مفردا ، وأن تسبق بايجاب أمر ، أو نفى ، أو نهى • ولكنهم لم يتفقوا على المراد منها ، بل تشعبت آراؤهم ، واختلفت مسالكهم وخلاصة هذه الآراء : رأى الجمهور ، المبرد ، ابن الحاجب •

---

(١) ترتيب القاموس المحيط ١/٣٢١ ـ ٣٢٢ •
(٢) الأنبياء ٢٦ •
(٣) الأعلى ١٥ ، ١٦ •
(٤) يراجع على سبيل المثال ـ الفوائد الضيائية ٢/٣٦٢ ، المقتصد ٩٤٦ ، المغنى ١/١٠٣ •

أما ابن الحاجب فيرى (١) : **أن الحكم يصرف الى الثانى مثبتا** كان أو منفيا ، على أن يثبت ضده للأول • فقولك : زارنى محمود بل أحمد معناه عنده : ثبوت الزيارة لأحمد ، ونفيها عن محمود • لأن الحكم وهو ثبوت الزيارة نقل الى أحمد • فثبت ضده لمحمود • وقولك : ما زارنى محمود بل أحمد • معناه : نفى الزيارة عن أحمد • وثبوتها لمحمود • لأن الحكم وهو نفى الزيارة نقل الى أحمد فثبت ضده لمحمود •

أما الجمهور : فيرى أن الحكم يصرف الى الثانى مثبتا لا غير • سواء فى ذلك حالتا النفى والاثبات ، ويبقى الأول فى حكم المسكون عنه أى غير محكوم عليه بشىء • لان بل للاضراب عن المتبوع • ومعنى هذا أن يجعل فى حكم المسكوت عنه • فقولك : زارنى محمود بل أحمد • معناه عندهم : ثبوت الزيارة لأحمد • وأما محمود فمسكوت عنه غير محكوم عليه بشىء • فيحتمل ثبوت الزيارة له أيضا ، ويحتمل نفيها عنه وقولك ما زارنى محمود بل أحمد • معناه : ثبوت الزيارة أيضا لأحمد وأما محمود • فمسكوت عنه فيحتمل ثبوت الزيارة له ويحتمل نفيها عنه فالحكم بالزيارة ثابت للثانى فى كلتا الحالين عندهم ، والأول مسكوت عنه ، ولم يبت فيه شىء •

أما المبرد : فيرى أن الحكم يصرف الى الثانى ــ مثبتا كان أو منفيا كما يرى ابن الحاجب • ويبقى الأول فى حكم المسكوت عنه كما يقول الجمهور • فهو فى حالة الاثبات مع الجمهور • أما فى حالة النفى فيتفق مع الجمهور من حيث أبقاء الأول فى حكم المسكوت عنه • ويتفق مع ابن الحاجب من حيث نقل الحكم الأول الى الثانى • فقولك : زارنى محمود بل أحمد • معناه ثبوت الزيارة لأحمد ، والاضراب عن

---

(١) شروح التلخيص ١/٣٨٤ •

محمود • كمـا يقول الجمهور • وقولك : ما زارنى محمود بل أحمد • معناه : نفى الزيارة عن أحمد كمـا يقول ابن الحاجب والاضراب عن محمود كما يرى الجمهور وعلى ذلك : فكنه العطف ببل • وهي صرف الحـكم عن الأول الى الثانى انما تتمشى ـ حالة النفى ـ مع رأيى ابن الحاجب والمبرد لا مع رأى الجمهور (١) • لأن المنقول الى الثانى عندهم فى حالة النفى انما هو ضد الحكم المنسوب للأول لا الحـكم نفسه • تخوفا زارنى محمود بل أحمد • فان الحكم اثابت لأحمـد عندهم فى هذه الحالة ـ ثبوت الزيارة لا نفيها • فلم يصرف الحكم من الأول الى الثانى كما هو رأس المسألة • ويمكن أن يجاب عنهم بأن المراد بصرف الحكم : تغييره على أى وجه • ولا شك أ ن الحكم كان منسوبا الى الأول على جهة النفى ، فغير ونسب الى الثانى على جهة الاثبات • والمقصور عليه هو ما بعد بل • وتكون للقصر الاضافى ، ولا تصـلح للقصر الحقيقى • لأن المنفى معها دائما يكون أمرا خاصا • فقولك : ما عمرو شاعرا بل زيد • يصلح مثالا لقصر القلب حيث يعتقد المخاطب أن عمرا هو الشاعر دون زيد • ومثالا لقصر الافراد حيث يعتقد نفى الشعر عنهما معا وهذا من قصر الصفة على الموصوف •

ومنه فى قول الموصوف على الصفة قول الشاعر :

ليس اليتيم الذى قـد مات والـده
بـل اليتيم يتيم العـلم والأدب

حيث قصر اليتيم (موصوف) على يتيم العلم والأدب (صفة) •

وهكذا ترى الاختـلاف فى معرفة المراد من بل والضوابط التى وضعوها لها كى تفيد القصر • والأجدر أن تبعدها عن القصر • يقول

---

(١) تقرير الانبابى ٣/٥٩ ؛ المطول ٣٠١ ؛ شروح التلخيص (حاشيه الدسوقي) ١/٣٨٤ •

السبكى (١) وأما العطف ببيل فأبعد • فان قولك ما زيد قائما بل قاعد • لا قصر فيه ــ وهو أبعد من القصر عما قبله • لأن فى الا جمعا بين نفى واثبات • وذلك لايستمر فى بل • واذا جوزنا عطفها على المثبت مثل : زيد شاعر بل كاتب • ثم اطلاق أن (بل) العاطفة للقصر لا يصح لأنه يقتضى • أن قولك : ليس زيد قائمــا قاعد لا قصر فيه • فانها ليست عاطفة ، لأن بل لا تعطف الا المفرد • كما صرح به النحاة •

لكن :

ولكن العاطفة : ساكنة النون • وليست تحففة من الثقيلة ، وهى حفيفة بأصل الوضع (٢) ، ويشترط جمهور العلمــاء للعطف بها ثلاثة شروط : افراد معطوفها (٣) ، وأن تســبق بنفى أو نهى ، وألا تقترن بالواو وهى تستعمل الرد الى الصواب (٤) ، وتكون للاثبات بعد النفى، وهى لقصر القلب : كقولك : ما جاء زيد لكن عمرو • ردا على من زعم أن زيدا جاء دون عمرو • وأما استعمالها لقصر الافراد فلا قائل به فى الايجاب اذ لا يصح أن يقال : جاء زيد لكن عمرو ــ بمعنى أن الجائى زيد وحده دون عمرو • ردا على من اعتقد اشتراكهما • كما لا يصح فى الاثبات لقصر القلب • وفى كلام النحاة ما يشعر باستعمالها فى قصر الافراد فى حالة النفى • بل باختصاصها به • فيقال : ما جاء زيد لكن عمرو ــ لمن اعتقد مجيئهما معا ــ فكأنه يقال : زيد ما جاء كما زعمت ــ وأما عمرو • فقد جاء لا كما تزعم • والسبب فى أن النحاة خصوها بقصر الافراد (٥) أنهم جعلوها للاستدراك • وعرفوه بأنه : رفع ما يتوهم

---

(١) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ٢/١٨٧ •
(٢) مغنى اللبيب ١/٢٢٦ (٣) شرح التصريح ٢/١٤٦ ، ١٤٧ •
(٤) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ١/٣٨٣ ، الفوائد الضيائية ٢/٣٦٣ ، المقتصد ٩٤٦ •
شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ١/٣٨٣ ، المطول ١٠٢ •

من الكلام السابق • كما فى نحو : جاء فى زيد • فيتوهم نفى مجىء عمرو أيضا لمـا بينهما من المشاركة والاصطحاب ، فيقال : لكن عمرو ــ فهذا يدل على أن المتـوهم (اسم مفعول) الاشتراك فى النفى • فمعنى قصر الافراد عنـدهم : نفى الشركة فى الانتفاء • يقول الدسـوقى : « واعلم (١) أنه حينما جعلت اكن عند أئمة هذا الفن لقصر القلب علم أنه لا اسـتدراك فيها عندهم • لأن المخاطب فى قصر القلب يعتقـد العكس ، أو يتردد فيه • فليس بين المعطوف والمعطوف عليه اتصال فى اعتقاده ، وهو منشأ التوهم الذى يستدرك عليه بلكن • ولا استدراك حيث انتفى منشأ التوهم • وبهـذا يندفع الاشكال الوارد على قوله تعـالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله » (٢) وحاصل الاشكال ، أن لكن للاستدراك ، ونفى الأبوة ليس بمتـوهم لنفى الرسالة الاتصال والعلاقة بينهما فى زعم المخاطب فكيف يتحقق الاستدراك ؟ والجواب : أن اكن لمجرد قصر القلب من غير استدراك • فالمشركون لعنة الله عليهم كانـوا يعتقـدون فيه الأبوة لزيد ، ونفى الرسالة ، فقلب المولى عليهم اعتقادهم •

بين لكن وبل :

لا : تستعمل للنفى بعد الاثبات لقصر الافراد والقلب • أما **لكن :** فستعمل فى الاثبات بعد النفى لقصر القلب فقط عند البيانيين ، أو لقصر الافراد فقط عند النحاة • ولكن تخالف لا فى الاستعمال من حيث أن لا • انما تستعمل بعد الاثبات ، واكن انما تستعمل بعد النفى • لا : تستعمل لكل واحد من القصرين • لكن انما تستعمل لأحدهما • وتوافق لا من جهة أن كلا منها يرد به على السامع عن الخطأ الى الصواب •

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقي) ١/٣٨٣ ، الأطول ١/٢١٨

(٢) الأحزاب : ٤٠ •

فروق بين طـرق القصر

طرق القصر الأربعة • وان اشتركت فى افادة القصر الا أنهـا تختلف من وجوه :

الأول : أن التقـديم : يدل على القصر بفحـوى (١) الكلام • فصاحب الذوق السليم اذا تأمل فى الكلام الذى فيه التقديم فهم بسبب القرائن الحالية الحصر • وان يعرف أن التقديم فى اصطلاح البلغاء يفيـد الحصر • اذ أن التقديم (٢) أمر عقلى لا لفظى اسـتعمل فى التركيب لافادة الحصر • وقد شاع قصد القصر فى مقام التقديم حتى صار موضوعا بالغلبة للقصر • فقول النابغة للنعمان بن المنذر :

لك الخير ان وارث بك الأرض واحدا
وأصـبح جد الناس يظلع عاثـرا

يفهم منه أن فى البيت قصرا فقوله : لك الخير • وليس فى الكلام ما يدل على النفى ، وليس التقديم متضمنا معنى يدل على النفى والاستثناء •

ولذلك يقول عبد الحكيم (٣) : « ولهذا قال ابن الحاجب : « ان التقديم فى « الله أحمد » للاهتمام • وما يقال انه الحصر لا دليل عليه •

أما الثلاثة الباقية فتدل على القصر بسبب الوضع اذ أن الواضع وضعهما لمعان يجزم العقل عند ملاحظتها بالقصر (٤)، أما أحواله (٥) من كونه افرادا أو قلبا ، أو تعيينا انما تستفاد منها بمعونة المقام •

---

(١) فحوى الكلام • معناه ومذهبه • لسان العرب ، المحيط فى اللغة الصاحب بن عباد ٣/٤١٨ ط بغداد •
(٢) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/٢٠٤ ، الأطول ١/٢٢٣ •
(٣) حاشية السيالكوتي ٣٦٧ •
(٤) الأطول ١/٢٢٤ (٥) حاشية السيد على المطول ٢١٤ •

الثـــانى : الأصل : أى الكثير الغالب فى طريق العطف : النص على المثبت والمنفى جميعا • فاذا قلت فى قصر الموصوف على الصـــفة « النابغة الذبيانى جاهلى لا اسلامى : كنت قـــد نصصت على المثبت للنابغة وهو صفة الجاهلية ، وعلى المنفى عنه وهو الاسلامية • واذا قلت فى قصر الصفة على الموصوف » على شـــجاع لا عمرو • كنت قد نصصت على الذى أثبت له الشجاعة وهو على • كما نصصت على الذى تنفيت عنه هذه الشجاعة وهو عمرو • وكذلك الحال فى العطف بيل ولكن •

ولا يترك (١) النص عليهما (أى المثبت والمنفى) الا لداع لا يلائمه الاطناب • كضيق المقام ، أو لقصـــد الابهام ، أو تأتى الانكار لدى الحاجة اليه عند عدم التنصيص ، أو استهجان ذكر المتروك ، وذلك مع رعاية الغرض البلاغى • فنقول : محمود يعلم النحو لا غير • ردا على من يقول : انه يعلم النحو والبلاغة والعروض • فى قصر الموصوف على الصفة ـــ أو ردا على من يقول : محمود يعلم النحو وعلى وخالد : فى قصر الصفة على الموصوف • ولا : هنا : عاطفة • أما غير : وتبعه على ذلك شارحو كلامه • وعلى ذلك • فغير : فى قولنا : محمـــود يعـــلم النحـــو لا غير ـــ مبنى على الضم مقطوع عن الاضـــافة فى كل نصب معطوف على ما قبل لا ـــ (وهو النحو (٢) فى قصر الموصوف على الصفة أو عطفا على محمود فى قصر الصفة على الموصوف • فتكون فى محل رفع • أما نجم الأئمة الرضى (٣) فذكر أن « لا » فى لا غير • ليســـت عاطفة • لأن العاطفة ينص فيها على المثبت والمنفى • وانما هى لنفى الجنس • وغير • فى محل نصب اسمها • والخبر محذوف • تقديره فى

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/٢٠٥ •

(٢) المغنى ، حاشـــية الأمير على المغنى ١/١٣٦ ، شرح المفصـــل لابن يعيش ٢/٩٥ •

(٣) المغنى ١/٦٧

قصر محمود على النحو ــ لا غيره معلوم له • وفى قصر النحــو على محمود لا غيره عالم ــ وعلى رأى الرضى يتحقق القصر أيضا ــ حملا على العاطفة لأنها بمعناها •

أما الثلاثة الباقية : فالأصل فيها : النص على المثبت دون المنفى • أى المثبت له الحكم فى قصر الصفة ، والمثبت لغيره فى قصر الموصوف • فمثال ما والا فى قصر الموصوف على الصفة : قوله تعالى : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه كانا يأكلان الطعام (١) • فقد نص فى هذا على الذى أثبت له ، وهو كونه رسولا ، ولم ينص على الذى نفى عنه • وهو كونه الاها مثلا • وفى قصر الصفة على الموصوف : قوله تعالى : « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم » (٢) فقد نص فيه على المثبت وهم الذين أتوا الكتاب • دون المنفى •

ومثال انما فى قصر الموصوف على الصفة قوله تعالى : « انمــا فى قصر الموصوف قوله تعالى : « انما أنت منذر » (٣) فقد نص فيه على المثبت • وهو كونه منذرا دون المنفى • وفى قصر الصــفة على الموصوف قوله تعالى : « فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم » (٤) فقد نص على المثبت وهم الذين بدلوا حكم الوصية دون المنفى •

ومثال التقديم فى قصر الموصوف على الصفة قوله تعالى : « ولله ملك السموات والأرض والله على كل شىء قدير » (٥) فقد قصر ملك

---

(١) المائدة ٧٥ •
(٢) البقرة ٢١٣ •
(٣) الرعد ٧
(٤) البقرة ١٨١ •
(٥) آل عمران ١٨٩

السموات والأرض على الجار والمجرور • والذى نص عليه هو المثبت • وفى قصر الصفة على الموصوف قوله تعالى : « على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » (١) ففى قوله على الله توكلنا نص على المثبت • ولكن هل ما نص فيه على المنفى أو مـا نص فيه على المثبت والمنفى يعتبر قصرا ؟ نعم يعتبر ذلك قصرا •

أما ما نص فيه على المنفى(٢) فيعتبر قصرا • يقـول الفـنرى : « وكما يترك الأصل الأول لكراهة الاطناب يترك هنا أيضا فى مثل : ما زيدا ضربت ، وما أنا قلت هذا (المعنى : لم أضر به وضر به غيرى ، وما أنا قلت هـذا وقاله غيرى) لأن القصـد به قصر الفعل على غير المذكور ، لا قصر عدم الفعل على المذكور • فيكون هنا النص بما ينفى لا به ايثبت •

أما ما نص فيه على المثبت والمنفى كقولك : ما قام القوم الا زيدا : فبعضهم يرى أنه خروج على الأصل • وايس من طرق القصر • لأن الذى يعتبر فى القصر انما هو الاستثناء المفرغ ولكنهم ضعفوه لأن معنى القصر موجود فيه •

والآخرون يرون : أن المراد بالنص : التفضيل • والمنفى هنا هو القوم : مجمل لعدم النص فيه على الأفراد واحدا واحدا وهو المعتمد ومن هنا يتبين لنا أن قول المصنف : الأصل فى هذه الثلاثة النص على المثبت : انما هو للتغليب •

وأما المراد بقولهم : دون المنفى « أنه لا يصرح فى هذه الثلاثة بالمنفى ، وانما تدل عليه ضمنا كما تقول فى قصر الموصوف على الصفة :

---

(١) الأعراف ٨٩ •

(٢) شروح التلخيص (حاشية الدسوقي) ٢/٢٠٧ •

ما أنا الا تميمى • وتميمى أنا • فانك قد أثبت كونك تميميا صريحا ، ولم تنف كونك قيسيا صريحا • وانما نفيته ضمنا • ولا منافاة بين كون المنفى مذكورا ضمنا ، وكون المنفى قد يكون منطوقا بلفظه •

٣ ــ الثالث :

أن النفى بلا العاطفة (١) لا يجامع النفى والاستثناء فلا يصح أن تقول : ما زيد الا قائم لا قاعد • لأن شرط المنفى بلا العاطفة ألا يكون ذلك المنفى منفيا قبلها بغيرها من أدوات النفى • لأنها موضوعة لنفى الحكم عن المعطوف ، واثباته للمعطوف عليه ، لا ليعاد بها النفى لشىء قد نفى من قبل ــ ولا يتحقق هذا الشرط اذا اجتمعت بالنفى والاستثناء ففى المثال السابق قد نفيت عن زيد كل الصفات ما عدا القيام • ويكون القعود قد نفى ضمن الصفات الأخرى المنفية • فاذا قلت بعد ذلك : لا قاعد • كنت قد نفيت بلا العاطفة شيئا هو منفى قبلها بما النافية يقول عبد القاهر : (١) « ليس من كلام الناس أن يقولوا : ما زيد الا قائم لا قاعد • فان ذلك انما لم يجز من حيث أنك اذا قلت : ما زيد الا قائم • فقد نفيت عنه كل صفة تنافى القيام • وصرت كأنك قلت : ليس هو بقاعد ، ولا مضطجع ، ولا متكىء • وهكذا حتى لا تدع صفة يخرج بها من القيام • فاذا قلت من بعد ذلك : لا قاعد • كنت قد نفيت بلا العاطفة شيئا قد بدأت فتنفيته • وهى موضوعة لأن تنفى بها ما بدأت فأوجبته ، لا لأن تفيد بها النفى فى شىء قد نفيته » •

قلت انه لا يصح لك أن تقول : ما زيد الا قائم لا قاعد • ولكن ما الحكم اذا وضعنا عمرا مكان قاعد : هل يصح هذا التركيب ؟ وتقول

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقي) ٢/٢٠٧ •
(٢) دلائل الإعجاز ٣٤٧ •

أن النفى بلا العاطفة بجامع النفى والاستثناء ؟ (١) يرى الشيخ يس أن الظاهر عدم الصحة لأنه وان لم يكن المعطوف بها منفيا قبلها لكنه يوهم أن النزاع فى قيام زيد وعمرو لا فى قيام زيد وقعوده الذى هو فرض الكلام • ولذا ترى العلامة سعد الدين يعرض بالزمخشرى والحريرى قائلا : (٢) « فلا يصح • ما زيد الا قائم لا قاعد • وقد يقع مثل ذلك فى كلام المصنفين • يقول الدسوقى (٣) معقبا على ذلك : « أى لا فى كلام الله ، بل ولا فى كلام البلغاء الذين يستشهد بكلامهم » ومراده بهذا : التعريض بصاحب الكشاف حيث قال فى تفسير قوله تعالى : « فاذا عزمت فتوكل على الله » (٤) أى لأن الأصلح لك لا يعلمه الا الله لا أنت • وبالحريرى حيث قال :

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه
على ما تجلى يومه لابن أمسه

ولا يقال ان الزمخشرى ممن يستدل بتراكيبه عند الشارح والسيد وغيرهما — لأنا نقول : انما يستدلون بكلامه فيما لم يخالف فيه الجمهور •وهذا مذهب مخالف للجمهور فلا يستدل به » — وفى ذلك يقول العصام : « لا يقال (٥) ما زيد الا قائم لا قاعد ، وما يقوم الا زيد لا عمرو • كما قد يقع فى تراكيب المصنفين • لكن لا يمكن الاستشهاد به ، وان كثر فى الكشاف لأن عبارته ليست مما يستشهد بها • فنفى المجامعة : نفيها فى كلام العرب العرباء ، والمهرة البلغاء • وما ذكره فى تعليله مناسبة اقتضت نفى المجامعة •

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/٢٠٧ ، الأطول ١/٢٢٤
(٢) شروح التلخيص ٢/٢٠٧ • (٣) ذاته ٢٠٧ •
(٤) آل عمران ١٥٩ • الكشاف ١/٤٧٥ •
(٥) الأطول ١/٢٢٤ •

ثم أشار الى أنه يجب أن نفرق بين لا ــ التى لا تجامع النفى والاستثناء ولا ــ التى تجوز مجامعتها فقال : « ومما ينبغى أن تنظر فيــه نظر من يسلك فى المزلقة ما يكاد يشــتبه بالجمع بين لا والنفى والاستثناء • وهو مما يؤكد به النفى والاستثناء وهو فى صورة العطف بلا • وهو جملة مستقلة جىء به للتاكيد ليس الا • منه قول الكشاف : ما هى الا شهوات لا غير (١) • فانه لم يقصد عطف الغير على شهوات بل جعل لا غير جملة مستقلة تأكيدا للقصر ، وأراد به : لا غير الشهوات موجــودة • فكأنه قيل : ما هى الا شهوات • ومنه قوله : « وما كان ذلك الا نفيا لا شبهة فى الاسلام • فان قوله : لا شبهة فى الاسلام • نفى جنس والمعنى : لا شبهة فى الاسلام • كأنه أكد به القصر السابق • وكيف لا يسمى هذا المسلك مزلقة • وقد عدهما الشــارح المحقق من الجمع الذى يقع فى كلام المصنفين • وواضح به دعوى أنه مما يكثر فى الكشاف ، ونكان أن نجترىء بانكار الوقوع فيه ولا تخاف » •

أما النفى بلا العاطفة : فانه يجامع انما ، والتقديم • فيقــال فى مجامعته للأول : انما أنا تميمى لا قيسى ، وللثانى : تميمى أنا لا قيسى • ويكون الحصر حينئذ مسدا لهما • والعطف بلا : تأكيد ، ولا ينسب له الحصر لتبعيته وهذا باتفاق من سعد الدين والسيد الشريف (٢) ، كما أن فيهما قوة لسبقهما (٣) • أما اذا اجتمع التقديم وانمــا ففيــه اختلاف (٤) • فاذا كان المقدم هو الخبر نحو : انما تميمى أنا ــ لا فى نحو : زيدا ضربت لأن القصر فيه مستفاد من التقديم باتفاق السعد

---

(١) الكشــاف ٤١٦/١ وذلك عند تفسيره لقوله تعالى فى ســورة آل عمران : زين الناس حب الشهوات •• الآية ١٤ •

(٢) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢١٠/٢ ، تجريد البنانى على مختصر سد الدين ٢٩٦/١ •

(٣) تقرير الانبابى ٧٧/٣ •

(٤) ذاته ٧٣/٣ •

والسيد • وعبارة السيد فى شرح المفتاح نصها : واعلم أنك اذا قلت : انما جاء زيد لا عمرو • أو زيدا ضربت لا عمرا • كان القصر مسندا الى انما ، أو التقديم (١) لتقدمهما وكان العاطف مؤكدا لذلك القصر• واذا قلت انما تميمى أنا ، كان القصر مستفادا من انما • وتقديم الخبر هنا كتقديمه فى قولك : ما تميمى الا أنا • واذا قلت : انما زيدا ضربت • كان القصر مستفادا من التقديم لعدم احتياجه الى تأويل حتى يكون المقصور عليه زيدا • وكان انما مؤكدا لذلك القصر نظرا الى أن زيدا هو الجزء الأخير رتبة • اذ لا يمكن تقديره بما والا • الا بتأخير زيد لما لا يخفى • ومن البين فى ذلك قول المتنبى :

أساميا لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها

فالقصر هنا للتقديم • لأن معنى الكلام : وما ذكرناها الا لذة• ولو لم يؤخر لذة ، وقدر الكلام بما والا فقيل : « ما لذة الا ذكرناها وصار القصر لانما • لم يتحقق مراد الشاعر • اذ أنه يريد أن يقول: ذكرته استلذاذا للثناء » (٢) • أما سعد الدين • فيرى أن انما أقوى اذا اجتمعت مع التقديم • وذلك يكون القصر بها (٣) • أما عبد الحكيم : فيجعل القصر للتقديم • لأن (٤) دلالة التقديم خفية لكونها بالفحوى لا يفهمها الا صاحب الذوق • لكنها بعد التحقق قوية لكونها عقلية ، فلذلك ينسب الحصر الى التقديم اذا اجتمع مع انما • نحو انما تميمى أنا وهكذا حال كل دلالة عقلية خفية مع دلالة وضعية•

---

(١) أى لانما فى الأول ، والتقديم فى الثانى •

(٢) التبيان للعكبرى • شرح ديوان المتنبى ٤٥٨/٢ المطبعة العامرة ١٣٠٨ هـ •

(٣) المطول ٢١٧ (٤) حاشية عبد الحكيم ٣٦٩ •

أما العصام : فالأظهر عنده : أن (١) النفى لا يجامع التقديم الذى للقصر ، ولا انما للقصر • بل تحمل انما على التأكيد • كما هو أصل وضع ان المتأكد بما • ومنه انما زيدا ضربت ، فان انما فيه ليست القصر كقول أبى الطيب السابق « وانما لذة ذكرناها » ويحمل التقديم على مجرد الاهتمام •

فلذا جاز الجمع بين التقديم ولا ، وانما ولا • والنفى والاستثناء نص فى القصر • فبلغوا العطف • فلذا لا يجامعه •

نخص من ذلك الى انه اذا اجتمعت انما مع التقديم • فالمقدم اما أن يكون مفعولا به ، فيكون القصر للتقديم ، واما ان كان خبرا فالقصر لانما حتى يستقيم المعنى • يؤيد ذلك (٢) : « واعلم أن الأمر فى المبتدأ أو الخبر ان كان بعد انما على العبرة التى ذكرت لك فى الفاعل والمفعول اذا أنت قدمت أحدهما على الآخر • معنى ذلك أنك إن تركت الخبر فى موضعه فلم تقدمه على المبتدأ كان الاختصاص فيه • وان قدمته على المبتدأ صار الاختصاص الذى كان فيه فى المبتدأ • تفسير هذا أنك تقول : انما لك هذا • فيكون الاختصاص فى لك • بدلالة أنك تقول : انما هذا لك لا لغيرك • وتقول : انما لك هذا • فيكون الاختصاص فى هذا • بدلالة أنك تقول : انما لك هذا لا ذاك • والاختصاص يكون أبدا فى الذى اذا جئت بلا العاطفة كان العطف عليه ، وان أردت أن يزداد ذلك عندك وضوحا • فانظر الى قوله تعالى: « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » (٣) فانك ترى الأمر ظاهرا أن الاختصاص للمبتدأ الذى هو البلاغ ، والحساب دون الخبر الذى هو عليك وعلينا • أما الزمخشرى فيقول فى ذلك : « (٤) ما يجب عليك

---

(١) الأطول ٢/٢٢٥
(٢) دلائل والاعجاز ٣٤٥ •
(٣) الرعد ٤٠
(٤) الكشاف ٢/٣٦٣ •

الا تبليغ الرسالة فحسب ، وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم » وهو بذلك قد وافق الامام فى جعل القصر لانما فى قوله تعالى : « فانما عليك البلاغ » أما فى قوله تعالى : « وعلينا الحساب » فقد جعل القصر للتقديم مخالفا الامام وهذا هو المراد ، اذ ان الامام حينما ذهب الى ذلك جعل الجملة الثانيه وهى « علينا الحساب » داخلة فى حيز انما .

أما الخطيب : فقد مثل للتقديم مع العطف بقوله : « هو يأتينى لا عمرو » (١) متابعا فى ذلك السكاكى . وقد اعترض عليه سعد الدين — وهو محق فيما ذهب اليه — قائلا : والتمثيل (٢) بنحو : زيدا ضربت لا عمرا . أحسن . وأجاب على ذلك السيد الشريف مؤيدا ما ذهب اليه سعد الدين فقال : (٣) احتمال أن يقال : هو يأتينى من باب التقوى دون التخصيص ، فلا يكون هناك الا طريق العطف فقط ، الا أن هذا الاحتمال مرجوح . لأن قوله : لا عمرو يدل على أن المقام مقام التخصيص . فكان التمثيل به حسنا . الا أن التمثيل بما ليس فيه احتمال أحسن » .

أما السر فى جواز اجتماع العطف مع التقديم ، وانما ، فهو : أن (٤) النفى المعتبر لافادة الحصر فيهما « أى التقديم وانما » غير مصرح به ، وانما صرح فيهما بالاثبات ، فلم يقبح تأكيد ما تضمناه . والنفى بلا . بخلاف ما والا . فقد صرح فيهما بالنفى . فصدق أنه نفى . بلا ، معهما . ما نفى بأداة أخرى مستقلة قبلهما . فتحقق بهذا

---

(١) بغية الايضاح ٢/١٧ ، المفتاح ١٤١ .

(٢) المطول ٢١٦ .

(٣) حاشية السيد الشريف على المطول ٢١٦ .

(٤) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/٢١٠ ، ٢١١ ، المطول ٢١٦

أن النفى الصريح ليس كالضمنى • وكونه ضمنيا فى انما واضح دائما • واما فى التقديم فقد يكون صريحا كما فى قولك : ما أنا قلت هذا • فلا تقول : لا غيرى •

ومما يدل على أن النفى الضمنى ليس كالتصريح أنه يقال : أمتنع زيد عن المجىء لا عمرو فيعطف على فاعل امتنع بلا • فيفيد الكلام حصر الامتناع فى زيد دون عمرو بواسطة العطف بلا • وصح ذلك لأن صريح امتنع زيد : ايجاب الامتناع ، فلا يفيد نفى ذلك الايجاب • وأما نفى المجىء فهو ضمنى ، فجاز العطف بلا لكون النفى فى امتنع • ضمنيا • ولو صرح به لهذا المعنى وقيل : لم يجىء زيد • لم يصح أن يقال : لا عمرو • لأنه نفى النفى • فيكون اثباتا • ووضع • لا • للنفى لا للاثبات • ويصح (١) أن يقال : ما من اله الا الله ، وما أحد الا وهو يقول ذلك • لأن من : لا تزاد الا فى النفى ، وأحد بهذا المعنى لا يقع الا فيه •

وأما اجتماع انما مع العطف ، فقد اشترط السكاكى لذلك « ألا يكون (٢) الوصف بعد انما مما له فى نفسه اختصاص بالموصوف المذكور • لتحصل الفائدة من مجامعة النفى بلا • لا نما • كما فى قوله تعالى : « انما يستجيب الذين يسمعون » (٣) فانه (٤) يمتنع أن يقال لا الذين لا يسمعون ، أولا الصم • فان الاستجابة لا تكون الا من سامع • فالتأكيد بالنفى هبلا غير مفيد فى نحو ذلك ، ولكن (٥) : اذا كانت فائدة القصر • أن يعتقد المخاطب خلافه •

---

(١) دلائل الاعجاز ٣٢٩ ، المطول ٢١٦ •

(٢) المفتاح ١٤١ ، بغية الايضاح ١٧/٢ : أى ألا يكون المقصور مختصا بالمقصور عليه •

(٣) الأنعام : ٣٦ •

(٤،٥) شروح التلخيص (مواهب الفتاح ، حاشية الدسوقى) ٢١٢/٢

والمخاطب هنا ليس كذلك • لأن كل عاقل يعلم أن الاستجابة انما تكون ممن يسمع • فهل تحققت فائدة القصر ؟ •

نعم • تحققت فائدة القصر • لأن الكفار نزلوا منزلة من لا سمع له لعدم قبولهم الحق ، والنبى — عليه الصلاة والسلام — لشدة حرصه على ايمان الكفار نزل منزلة من يعتقد الاستجابة ممن لايسمع، فخوطب بقصر الاستجابة على من يسمع قصر قلب • فالقصر هنا حقيقى • لكن بعد تنزيل المخاطب منزلة من يعتقد العكس لأجل ذاك الاعتبار الخطابى ، وتضمن ذلك التنزيل التعريض بالكافرين بأنهم من جملة الموتى الذين لا سمع لهم • فليس هنا فى الحقيقة الا نفى الاستجابة عن الكفار ، واثباتها للمؤمنين • ولكن لما كان الحصر فى أمر مختص بحسب الظاهر ، وان لم يكن فى الواقع اختصاص • لأن الاستجابة ليست خاصة بالمؤمنين • صحت مراعاة هذا الظاهر ، وامتنع أن يقال لا الذين لا يسمعون مرادا منهم الكافرون نظرا لذلك الظاهر •

أما الامام عبد القاهر (١) : فيرى انه اذا كان الفعل بعد انما فعلا لا يصح الا من المذكور ولا يكون من غيره ، كالتذكر الذى يعلم أنه لا يكون الا من أولى الألباب • ام يحسن العطف • بلا • فيه كما يحسن فيما لا يختص بالمذكور ، ويصح من غيره ••• اذ أنه لا يحسن أن تقول : انما يتذكر أولوا الألباب لا الجهال • كما يحسن أن نقول : انما يجىء زيد لا عمرو •

---

(١) دلائل الاعجاز ٣٥٣ •

ويرى البلاغيون (١) : أن ما قاله عبد القاهر أقرب الى الصواب مما قاله السكاكى • لأنه لا دليل على امتناع أن يقال : انمـــا يفهم العاقل لا غيره عند قصد التأكيد • لا سيما والكلام على ما تقدم على تأويل تنزيل المنفى عنه بمنزلة من لا يصدق عليه المحصور فيه، فناسبه التأكيد باعتبار ما فى الباطن ، فما جعله السكاكى شرطا للصحة ، جعله الامام شرطا للحسن • ومراد عبد القاهر (٢) • أنه شرط فى كمـــال الحسن وتمامه ، لا أنه شرط فى أصل الحسن • والا كان رأى الامام عبد القاهر والسكاكى متوافقين • لأن الخالى عند البلغاء لا صحة له•

ما شرطه السكاكى كان فى قصر الصفة على الموصوف • ومن (٣) الممكن أن يقاس عليه قصر الموصوف على الصفة فيقال : شرط مجامعة النفى بلا العاطفة بطريق انما : ألا يكون الموصوف فى نفسه مختصا بتلك الصفة • فلا يجوز أو لا يحسن أن يقال ، انما المنفى من يسلك مناهج السنة لا طرائق البدعة •

(الرابع) : الأصل : أى الكثير والغالب فى الحـــكم الذى يستعمل فيه النفى والاســتثناء • أن يكون من شــأنه أن يجهله (٤) المخاطب وينكره • أى أن يجهله المخاطب بالفعل وشأنه أن يكـــون مجهولا • وليس المراد الجهل بالفعل فقط لأنه شرط فى الحصر مطلقا بأى طريق كان ، بل المراد • أن يكون من شأنه الا يزول الا بالتأكيد، كما أن هذا الجهل لا بد أن يكون من جملة الأحكام التى ينــكرها •

---

(١) ينظـر • بغية الايضـاح ١٧/٢ ، شروح التلخيص ٢١٣/٢ ، المطول ٢١٧ •

(٢) فصول من علم المعانى د• عبد العظيم الروبى ، د• محمد جمعة ص ٧٨ ط ثالثة • مخيمر ١٣٨٢ •

(٣) حاشية السيد على المطول ٢١٧ •

(٤) شروح التلخيص ٢١٣/٢ ، ٢١٤ •

والمراد بالحكم المستعمل فيه الذى هو بعض الأحكام المجهولة : النفى والثبوت بالنظر لقصر القلب ، والنفى فقط بالنظر للافراد ، والثبوت والنفى فى قصر التعيين .

ففى القلب بنكرهما المخاطب ويجهلهما ، وفى الافراد يجهل النفى وينكره . وفى التعيين يجهلهما فقط . ولا يتأتى فيه انكار . فالجهل ظاهر فى جميع أقسام القصر . وأما الانكار فليس ظاهرا فى قصر التعيين ، لأن المتردد لا انكار عنده . وعلى ذلك .

فقول الخطيب : (١) « مما يجهله المخاطب وينكره » على خلاف الأصل لأنه لا يدخل فيه قصر التعيين اذ لا انكار فيه . ومن هنا يذهب بعض المعاصرين (٢) الى أن الجمع بين الجهل والانكار كما فعل الخطيب وشراح التلخيص لا دليل عليه .

ومثال ما استعمل فيه النفى والاستثناء على الأصل قولك لصاحبك وقد رأيتما شبحا من بعيد ، ما هو الا زيد . واذا اعتقد صاحبك أن الشبح غير زيد مصرا على هذا الاعتقاد . وقد (٣) قيد هذا المثال بالبعد نظرا لأن البعد من شأنه أن يجهل وينكر . وقد تحقق فى هذا المثال الجهل والانكار فيما من شأنه أن يجهل وينكر لبعد مضمونه جهلا لا يزول الا بالتأكيد . ومنه قوله تعالى : « وما من اله الا الله »(٤) ردا على المعاندين الذين يصرون أن مع الله آلهة أخرى .

والمثال الأول يحتمل قصر الافراد وقصر القلب بحسب اعتقاد المخاطب . أما الآية فهى قصر افراد فقط لأن اعتقادهم فى الشركة واضح .

---

(١) الأطول ١/٢٢٦ .
(٢) كلمات فى القصر . المرحوم سليمان نوار ص ٣٥ .
(٣) شروح التلخيص (مواهب الفتاح ، حاشية الدسوقى) ٢/٢١٥ .
(٤) آل عمران ٦٢ .

وقد ينزل الحكم المعلوم حقيقة منزلة الحكم المجهول الذى يحتاج فى نفى جهله الى تأكيد • وذلك التنزيل لأمر معتبر مناسب للمقام فيستعمل النفى والاستثناء فى الأمر المعلوم • وذلك كقوله تعالى فى قصر الموصوف على الصفة افرادا : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » (١) أى (٢) أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الموت • فالمخاطبون وهم الصحابة رضى الله عنهم أجمعين كانوا يعلمون أن الرسول مقصور على الرسالة ، غير جامع بينها وبين الخلود فى الدنيا • ولكنهم لما كانوا يعدون موته أمرا عظيما ، نزل استعظامهم موته منزلة انكارهم اياه (أى الموت) فاستعمل له النفى والاستثناء • والاعتبار المناسب هو الاشعار بعظم هذا الأمر فى نفوسهم ، وشدة حرصهم على بقاء النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ فيما بينهم • حتى كأنهم لايخطرون موته بالبال •

ويرى العصام (٣) : أن الاعتبار المناسب هو « التنبيه على مفاسد الاستعظام ، حتى لحق بالجهل فى الفساد ، وتحذيرهم عنه كما يحذر عن الجهل • كما يرى أن قصر القلب هنا على اعتبار • وما محمد الا رسول لا اله • نزل استعظامهم هلاكه منزلة دعوى الوهيته • لأن البقاء يخص الاله • وكل شىء هالك الا وجهه ، واعتبار الألوهية ينافى الرسالة • ولكن السبكى (٤) قد ضعف هذا التوجيه ، كما ضعف أيضا من ذهب الى أن قصر القلب فى هذه الآية على اعتبار أن مصب القصر الى مفاد الجملة التى هى فى محل النعت عند بعضهم (٥)

---

(١) آل عمران ١٤٤ (٢) المطول ٢١٨ •

(٣) الأطول ٢١٧/١

(٤) شروح التلخيص (عروس الأفراح) ٢١٧/٢ •

(٥) انظر تفسير أبى السعود ٩٢/٢ ، حاشية الجمل على الجلالين ٣١٩/١ ، الاستغناء فى أحكام الاستثناء ٢٥٣ ، ٢٥٤ •

فيكون التقدير : وما محمد الا رسول قد خلت الرسل قبله ، فيذهب كما ذهبوا لا أنه رسول لا يذهب كما عليه المخاطبون بتنزيل اعظامهم منزلة انكارهم • فكأنهم قالوا • هو رسول لا يموت فقيل لهم : بل هو رسول يموت كغيره • وكقوله تعالى : ان الله يسمع من يشاء ، وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير (١) فهنا قصر موصوف على صفة قصر افراد • أى قصر النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ على صفة الانذار ، غير جامع بينها وبين صفة الهداية ، وذلك أمر معلوم له ــ عليه الصلاة والسلام ــ • غير أنه لما كان شديد الحرص على ايمان قومه وهدايتهم ، ملحا فى توجيه الدعوة اليهم ، صار فى حكم من ظن أنه يملك مع صفة الانذار صفة الهداية ، لهذا قصر على الانذار قصر افراد ، ونزل هذا المعلوم • وهو أنه غير ملزم بحمل الناس على الهداية قسرا • منزلة ما من شأنه أن يجهل وينكر فاستعمل فيه النفى والاستثناء على ما هو الأصل فيهما • وسر بلاغته تسلية الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتصوير حاله وهو حريص على هداية قومه والحاحه فى دعوتهم الى الايمان بالله ، وما أنزل (٢) ومثاله فى قصر القلب قوله تعالى حكاية عن بعض الكفار : « ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا » (١) فالمخاطبون وهم الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ لم يكونوا بشرا ، ولا منكرين لذلك ، لكنهم نزلوا منزلة المنكرين • لاعتقاد الكفار أن الرسول لا يكون بشرا

---

(١) فاطر ٢٢ ، ٢٣ • ينظر بغية الايضاح ١٨/٢ ، تفسير أبى السعود ١٥٠/٧ •

(٢) دلائل لاعجاز ٣٣٤ •

(٣١) ابراهيم عليه السلام ١٠ ينظر • بغية الايضاح ١٩/٢ ، دلائل الاعجاز ٣٣٣ ، المطول ٢١٨ •

مع اصرار المخاطبين على دعوى الرسالة ، فقد نزل الكافرون الرسل منزلة المنكرين للبشرية ، لأنهم اعتقدوا اعتقادا فاسدا : التنافى بين البشرية والرسالة •

وذكر الدسوقى (١) : ان القصر فى هذه الآية يمكن أن يكون قصر افراد جريا على الظاهر من غير تنـــزيل • فكأنهم قالوا : ما اجتمعت لكم البشرية والرسالة كما تزعمون • أو من قصر القلب بلا تنـــــزيل أيضا بأن يكون المراد : ما أنتم الا بشر أعلى منا بالرسالة •

أما العصام : فقد جعل القصر فى هذه الآية قصر قلب أيضا من غير تنزيل ولكن على سبيل الكناية يقول : « ويكون (٣) الكلام من قبيل الكناية فيكون : ان أنتم الا بشر • بمعنى ان أنتم الا غير رســـــل لاستلزام البشرية نفى الرسالة ، فذكر البشرية • وأريد انتفـــــاء الرسالة ، فيكون فى الكلام قصر قلب من غير تنزيل » •

وأقول الله تعالى حكاية عن الرسل : « ان نحن الا بشر مثـــلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده » (١) وذلك بعد حـــكاية الكفار فى الآية السابقة • فمن مجاراة الخصم والتبكيت والالزام والافحام• فان من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف فى أمر لا يخالف فيـــه ، أو هو لا ينكر • أن يعيد كلامه على وجهه • كما اذا قال لكمن يناظرك: أنت من شأنك كيت وكيت • ولكن لا يلزمنى من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم • فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا : ان ما قلتـــم من أنا بشر مثلكم • وهو ما قلتم • لا تنكره ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله قـــد

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى • مواهب الفتاح) ٢/٢١٧، ٢١٨ ، المفتاح ١٤٢ •

(٢) الأطول ١/٢٢٧ •

(٣) ابراهيم عليه السلام ١١ • ينظر المفتاح ١٤٢ ، شروح التلخيص (مواهب الفتاح ، حاشية الدسوقى) ٢/٢١٩ •

من علينا بالرسالة ، فالرسل قد اعترفوا بمقدمة صحيحة ، وهى ثبوت البشرية لهم ، ليبينوا أنها لا تستلزم مقصود الخصم ، فالقصر فى قول الرسل : « ان نحن الا بشر مثلكم » الخطاب فيه موجه الى الكفار • وهم لا ينكرون هذه البشرية • فعلى هذا يكون القصر صوريا يقصد منه المشاركة اللفظية لقول المشركين • لتكون أقوى فى المجاراة ، ولا يراد منه الا أصل الاثبات والتجرير ، ويمكن أن يكون المراد حقيقة انقصر • لأن المشركين يريدون من قولهم : « ان أنتم الا بشر مثلنا » أن الرسل بشر لا ملائكة ، ومن ثم ينكرون رسالتهم ، فجاراهم الرسل بتسليم أنهم بشر • ويكون المقصود من هذا القصر هذه المجاراة ، وليس الرد عليهم • لأن المشركين لا ينكرون بشرية الرسل • بل هى ثابتة عندهم •

★★★

وأما انما : فالأصل أى الكثير الغالب أن تستعمل كما يرى الخطيب فى الحكم الذى يعلمه (١) المخاطب ولا ينكره • وهو بهذا موافق (٢) لعبد القاهر حين قال : اعلم على أن موضوع انما : على أن تجىء لخبر لا يجهله المخاطب ، ولا يدفع صحته ، أو لما ينزل هذه المنزلة •

وفى الحقيقة أن المخاطب اذا كان عالما بالحكم ، ولم يكن حكمه مشوبا بالخطأ لم يصح القصر • بل لا يفيد الكلام سوى لازم الحكم• وقد يكون مراد الشيخ أنه يجىء لخبر من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره • حتى ان انكاره يزول بأدنى تنبيه ، لأنه لا يصر عليه ،

(١،٢) بغية الايضاح ٢/٢٠ ، دلائل الاعجاز ٣٣٠ ، المفتاح ١٤٢ ، شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/٢١٤ •

وعلى هذا يكون موافقا لما فى المفتاح • وهو أن طريق انما يسلك مع المخاطبة فى مقام يصر على خطئه ، ويجب عليه ألا يصر • فمثال استعمال انما على اصل كما مثل الخطيب : « قولك انما هو أخوك » لن يعلم ذلك ويقربه • وأنت تريد أن ترفقه عليه أى أن تجعل من يعلم ذلك رقيقا مشفقا على ذلك الأخ • والأولى (١) أن يكون هذا المثال من الاخراج على خلاف مقتضى الظاهر • لأنه لما لم يشفق على أخيه • فكأنه أخطأ فزعم أنه ليس بأخيه ، لكنه غير مصر على ذلك •

وقد ينزل الحكم المجهول الذى من شأنه أن يجهل وينكر ، منزلة الحكم المعلوم الذى من شأنه أن يعلم ولا ينكر لا ادعاء ظهوره ، وأن انكاره ليس مما ينبغى •

وبسبب ذلك التنزيل يستعمل له انما • كقوله تعالى • حكاية عن اليهود لعنة الله عليهم : « انما نحن مصلحون » (٢) فقد استعملوا انما فى اثبات الصلاح لأنفسهم ادعاء لظهوره ، واشعارا بأن نقيضه وهو فسادهم ظاهر الانتفاء حتى لا يحتاج نفيه الى تأكيد بالنفى والاستثناء ، ولذلك جاء الرد عليهم فى قوله تعالى : « ألا انهم هم المفسدون ولكن يشعرون » (٣) باثبات الفساد لهم حال كون ذلك القول مؤكدا • أى مصاحبا لتأكيد بأمور كثيرة • منها : كون الحكم فى صورة الجملة الاسمية المفيدة للدوام والثبوت ومنها تعريف الجزأين ا أعنى المبتدأ والخبر فى قوله تعالى : هم المفسدون وتعريفهما يفيد الحصر المستفاد من تعريف الجزأين • ومنها تعقيبه بما يدل على

---

(١) المطول ٢١٩ •
(٢) البقرة ١١ ـ شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/٢٢١ •
(٣) البقرة ١٢ •

التقريع والتوبيخ • وهو قوله تعالى : « ولكن لا يشعرون » لافادته أنهم من جملة الموتى الذين لا شعور لهم • والا لأدركوا فسادهم بلا تأمـــل •

مزية انما على العطف : ومزية انما على العطف : أنها (١) يعقل منها الحكمان أى الاثبات والنفى المفاد بالحصر دفعة واحدة بخـــلاف العطف • فانك اذا قلت : قام زيد لا عمرو : يعقل اولا اثبات القيـام لزيد ، ثم يعقل ثانية نفيه عن عمرو • وكذا يتعقل العكس فى قولك : ما قام زيد بل عمرو • اذ يعقل أولا نفى القيام عن زيد ، ثم اثبـــاته لعمرو • واذا كان التقديم والنفى والاستثناء يعقل منهما الحكمـــان أيضا معا • أن التقديم يدل عليه بالاحتمال • أى من حيث احتمال كون عليهما بتوقف الاستثنا فى الافادة على المستثنى منه • والفـــرق المقدم معمولا لشىء آخر ، وأمـا النفى والاســتثناء • فانه يـدل بين الاستثناء والعطف ، أن صورة العطف يحتمل الاســـتقلال ، والاستثناء مرتبط بالمستثنى منه • فيفيد الحكمين بواســـطة ذلك الارتبـــاط •

★ ★ ★

(أحسن مواقع انما) • أسلفت أن انما تمتاز على بقية أدوات القصر بأنها يعقل منها الحكمان (النفى والاثبات) دفعة واحدة • ومن مميزاتها أيضا • أنها وان كان الأصل والغالب فيها أن تستعمل فى حكم شأنه أن يكون معلوما ولا يجهله أحد ولا ينكره الا أنهـــا تستعمل فى كلام لا يكون الغرض منه افادة الحكم للعلم به ، وانمـا يكون الغرض التلويح به الى معنى آخر على سبيل التعريض • وانما

---

(١) شروح التلخيص (ابن يعقوب) ٢/٢٢٢

كان التعريض أحسن مواقع انما • لأن افادة الحكم الذى شـأنها أن تستعمل فيه • لا يهم المخاطب معلوما ، أو من شأنه العلم • بخـلاف المعنى الآخر الماوح اليه ، فانه لكون المخاطب جاهلا به مصرا عـلى انـكاره •

يقول الامام عبد القاهر (١) : « ثم اعلم أنك اذا اسـتغربت وجدتها أقوى ما تكون ، وأعلق ما ترى بالقلب اذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه • ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه • نحو أنا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى « انما يتذكر أولوا الألباب » (٢) أن يعلم السامعون ظاهر معناه • ولكن أن يذم الكفار ، وأن يقال انهم من فرط العناد ، ومن غلبة الهوى عليهم ، فى حكم من ليس بذى عقل ، وانكم ان طمعتم منهم فى أن ينظروا ويتذكروا ، كنتم كمن طمع فى ذلك من غير أولى الألباب ، وكذلك قوله : « انما أنت منـذر من يخشاها » (٣) وقوله عز اسمه : « انما تنذر الذين يخشـون ربهم بالغيب » (٤) المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية ، فهـو كأنه ليس له أذن تسمع ، وقلب يعقل • فالانذار معه كلا انذار ، ومثال ذلك قول العباس بن الأحنف :

* * *

أنا لـم أرزق محبتهـا انما للعبـد ما رزقا

الغرض أن يفهمك من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه ويعلم أنه ينبغى له أن يقطع الطمع من وصلها ، وييأس من أن يكون منها اسعاف • وقول الشاعر :

---

(١) دلائل الاعجاز ٣٥٤ ـ ٣٥٨ .
(٢) الرعد ١٩ ، الزمر ٩ .
(٣) النازعات ٤٥ (٤) فاطر ١٨

ما أنت بالسبب الضعيف وانما
نجح الأمور بقوة الأســـــباب
فاليوم حاجتنا اليك وانمـــا
يدعى الطبيب لساعة الأوصـــاب

يقول فى البيت الأول : انه ينبغى أن أنجح فى أمرى حين جعلتك السبب اليه ، ويقول فى البيت الثانى : انا قد وضعنا الشىء فى موضعه وطلبنا الأمر من جهته حين استعنا بك فيما عرض من الحاجة وعولنا على فضلك • كما أن من عول على الطبيب فيما يعرض له من السقم كان قد أصاب بالتعويل موضعه ، وطلب الشىء من معدنه •

ثم يشير عبد القاهر الى أن هذا التعريض مرتبط بانما فيقول : ثم ان العجب فى أن هذا التعريض الذى ذكرت لك لا يحصل من دون انما • فلو قلت : يتذكر أولوا الألباب • لم يدل مادل عليه فى الآية • وان كان الكلام لم يتغير فى نفسه • وليس الا لأنه ليس فيه انما •

والسبب فى ذلك : أن هذا التعريض انما وقع بأن كان من شـــأن انما أن تضمن الكلام معنى النفى من بعد الاثبات والتصريح • بامتناع التذكر ممن لا يعقل • واذا أسقطت من الكلام فقيل : يتـــــذكر أولوا الألباب • كان مجرد وصف لأولى الألباب بأنهم يتذكرون ، ولم يكن فيه معنى نفى للتـــذكر عمن ليس منهم ، ومحال أن يقع تعريض لشىء ليس له فى الكلام ذكر ولا فيه دليل عليه ، فالتعريض بمثل هـــذا ، أعنى بأن تقول : يتذكر أولوا الألباب • باسقاط انما يقع اذن ان وقع بمدح انسان بالتيقظ • وبأنه فعل ما فعل ، وتنبه لمـــا تنبه له ، لعقله، وحسن تمييزه • كما يقال فى كذلك يفعل العاقل • وهكذا يفعل الكريم، وهذا موضع فيه دقة وغموض • وهو مما لا يكاد يقع نفس أحد أنه ينبغى أن يتعرف سببه ، ويبحث عن حقيقة الأمر فيه •

● ● ●

(موقع المقصور عليه) : يختلف موقع المقصور عليه باختلاف طرق القصر :

١ ــ فاذا كان طريقه النفى والاستثناء : فالأصل فيه : أى الكثير الغالب • أن يؤخر المقصور عليه ، بحيث يقع بعد أداة الاستثناء مباشرة • سواء كانت الأداة الا أو غيرها من الأدوات • والسر (١) فى ذلك أن القصر أثر ناشىء عن الحرف الذى هو الا ، ويمتنع ظهور أثر الحرف قبل وجوده « فالمقصور عليه فى قوله تعالى : « ومن يغفر الذنوب الا الله » (٢) هو الاسم الواقع بعد الا • وهو لفظ الجلالة • وهذا من قصر الصفة على الموصوف • والمقصور عليه فى قوله تعالى: ان أنت الا نذير (٣) هو النذير وهو من قصر الموصوف على الصفة •

وعلى ذلك تقول فى قصر الفاعل على المفعول • افرادا أو قلبا بحسب المقام : ما ضرب زيد الا عمرا • قصر افراد ، أو قلبا كقوله تعالى ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم (٤) اذ أنه ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتنى شيئا حتى يكون للقصر للافراد لأن الكلام لم يكن أنه زاد شيئا على ذلك ، أو نقص منه ، ولكن المعنى : أنى لم أترك ما أمرتنى به أن أقوله الى خلافه لأن سيدنا عيسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ قاله فى مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى تركت ما أمرتك أن تقوله الى ما لم آمرك أن تقوله • فانى أمرتك أن تدعو الناس أن يعبدونى ، ثم انك دعوتهم الى أن يعبدوا غيرى بدليل قوله تعالى : « أأنت قلت للناس اتخذنى وأمى الهين من دون الله » •

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/٢٢٥ •
(٢) آل عمران ١٣٥ •
(٣) فاطر ٢٣ •
(٤) المائدة ــ ١١٧ بغية الايضاح ٢/٢٤

أما ابن السبكى فيعترض على ما ذهب اليه الخطيب فى مفهوم القصر من هذه الآية قائلا : « هذا من المصنف يقتضى أن قصر القلب ليس فيه نفى الغير المذكور ، وليس كذلك والذى قاله من أن المراد : أننى قلت ما أمرتنى به صحيح • ولا ينافى ذلك أن يكون نفى الزيادة عليه فهذه هى حقيقة القصر • نعم هو قصر قلب لغير ما ذكره ، وهو أنه فى مقابلة قول النصارى عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : اتخذونى وأمى الهين من دون الله • فان نسبتهم ذلك اليه لا تجتمع مع نسبتهم اليه الاعتراف بالوحدانية » •

وفى الحقيقة أن كلا التوجهين صحيح • ولكن ما ذهب اليه السبكى هو المعول عليه فى افادة القصر •

فالمثال السابق وهو : ما ضرب زيد الا عمرا : وهو من قصر الفاعل على المفعول : يحتمل أن يكون من قصر الصفة على الموصوف ويكون التقدير : ما مضروب زيد الا عمرو ، وأن يكون من قصر الموصوف على الصفة ويكون التقدير : ما زيد الا ضارب عمرو ، وتقول فى قصر المفعول على الفاعل : ما ضرب عمرا الا زيد وهذا يمكن أن يكون من قصر الصفة على الموصوف • ويكون التقدير : ما ضارب عمر الا زيد• أو من قصر الموصوف على الصفة ويكون التقدير ما عمرو الا مضروب زيد • ومعنى (١) قصر الفاعل على المفعول : قصر الفعل الواقع الى الفاعل على المفعول ، ومعنى قصر المفعول على الفاعل : قصر الفعل الواقع على المفعول على الفاعل • أما قصر الفعل على الفاعل كقولك ما قام الا زيد : فهو من قصر الصفة على الموصوف •

---

(١) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/٢٢٤ ، ٢٢٥ ، بغية الايضاح ٢/٢٤ •

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/٢٢٦ •

ومنه قولهتعالى : « وهل يهلك الا القوم الظالمون » (١) ، وقوله « لا يعلمها الا هو » (٣) وقصر المبتدأ على الخبـــر يكون من قصر الموصوف على الصفة ، كقوله تعالى : « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » (٣) وقوله : « انمـا هو اله واحـد » (٤) وقصر الخبر على المبتدأ يكون من قصر الموصوف على الصفة كقوله تعالى : « ما عـلى الرسول الا البلاغ » (٥) وقوله « لا اله الا الله » (٦) وقوله تعالى : « انما عليك ابلاغ » (٧) .

وتقول فى قصر المفعول (٨) الأول على الثانى ما أعطيت زيدا الا درهما . وفى قصر المفعول الثانى على الأول : ما أعطيت درهمـا الا زيدا . وهذا يمكن أن يكون من قصر الصفة على الموصوف بأن تقول : ما معطى زيد منى الا درهم . أى لا دينار . وفى قصر الموصوف على الصفة ، ما أنا الا معطى زيد درهما . أى لا معطيه دينارا وفى قصر الحال على صاحبها ، ما جاء راكبا الا زيد ، وفى قصر صاحب الحـال عليها : ا جاء زيد الا راكبا . ومعنى الأول : ما صاحب المجىء مـع الركوب الا زيد ، أو ما جاءنى راكبا الا زيد ، ومعنى الثانى : ما زيد الا صاحب المجىء راكبا ، أو ما زييد الا جاءنى راكبا . فالأول من قصر الصفة والثانى من الموصوف .

وقد (٩) ذكر سعد الدين أنه كثيرا ما يقع الحال بعد الا ماضيا مجردا عن قد والواو . نحو ما أتيته الا أتانى.وفى الحديث : ما أيس

---

(١) الأنعام ٥٩
(٢) الأنعام ٥٩ (٣) الحديد ٢٠ .
(٤) النحل ٥١ (٥) المائدة ٩٩ .
(٦) محمد عليه السلام ١٩ (٧) الرعد ٤٠ .
(٨) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/٢٢٥ .
(٩) المطول ٢٢٣ .

الشيطان من بنى آدم الا أتاهم من قبل النساء . وذلك لأنه قصد لزوم تعقيب مضمون ما بعد الا لما قبلها ، فأشبه الشرط والجزاء ، وهذا الحال مما لا يقارن مضمونه بمضمون عامله . الا على تأويل العزم والتقدير : . أى ما أيس الشيطان من بنى آدم غير النساء الا عازما على اتيانهم من قبلهن كقولهم : خرج الأمير معه صقر صائدا به غدا . جعل المعزوم عليه المجزوم به كالواقع الحاصل .

وسعد الدين رحمه الله يريد فى هذا أن يفرق بين الحال الواقعة كقولك ما رأيته الا وهو يقرأ ، والحال المعزوم عليها المجزوم بها فتكون كالواقع الحاصل كقولك ما اشتريت كتابا الا قرأته ، وهذا من قصر الموصوف على الصفة .

وتقول فى القصر بين التمييز وصاحبه . ما طاب زيد الا نفسه ما يطيب من زيد الا نفسه فهو من قصر الصفة على الموصوف .. وتقول فى المجرور والظرف : ما عولت الا على الله ، وما عرفتك الا عند الشدة . والحصر فى الصفة (١) كقولك ما جاءنى رجل الا فاضل، والحصر فى البدل : ما جاءنى أحد الا أخوك . وما ضربت زيدا الا رأسه ، وما سرق زيد الا ثوبه . وما أعجبنى زيد الا حسنه .

وعلى ذلك فالمتعلقات يقع فيها القصر الا المصدر (٢) المؤكد ، فانه لا يقع القصر بينه وبين الفعل اجماعا فلا تقول : ما ضربت الا ضربا . وأما قوله تعالى : « ان نظن الا ظنا » (٣) فمعناه الا ظنا ضعيفا . فهو مصدر نوعى ، لأن المصدر المؤكد (٤) لا يجوز أن يقع

---

(١) المطول ٢٢٠

(٢) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/٢٢٤ .

(٣) الجاثية ٣٢ .

(٤) الفتوحات الالهية (حاشية الجمل على الجلالين ٤/١٢٢ ـ نقلا عن ازده .

استثناء مفرغا • فلا يقال : ما ضربت الا ضربا ، لعدم الفائدة فيه لكونه بمنزلة أن يقال : ما ضربت الا ضربت • وقد تقرر فى النحو أنه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع المعمولات الا المفعول المطلق فلا يقال ما ظننت الا ظنا لاتحاد موردى النفى والاثبات وهو الظن ، والحصر انما يتصور حين تغاير موردیهما •

كذلك لا يقع القصر فى المفعول معه • لأنه لا يجىء بعد الا • فلا تقول : ما سرت الا والنيل • وذلك لأن ما بعد الا كأنه منفصل من حيث المعنى عما قبله لمخالفته له نفيا واثباتا ، لأن الا تؤذن من حيث المعنى بنوع من الانفصال ، كذلك الواو • فاستهجن عمل الفعل مع حرفين مؤذنين بالفصل ولذا لا يقع من التوابع بعد الا عطف النسق • فلا يقال : ما قام زيد الا وعمرو ، وأما وقوع واو الحال بعدها فى نحو : ما جاءنى زيد الا وغلامه راكب فلعدم ظهور عمل الفعل لفظا بعد الواو • بل هو مقدر •

ويجوز على قلة تقديم المقصور عليه ، وأداة الاستثناء على المقصور قصر الفاعل على المفعول : « ما قرأ الا كتابا خالد • فقد قدمت كتابا وهو المستثنى مع الأداة على المحصور الذى هو الفاعل وهو خالد • وقولك فى قصر المفعول على الفاعل ما قرأ الا خالد كتابا• فقد قدمت الأداة وخالد على المقصور الذى هو المفعول وهو كتابا • فالاختصاص فى المثال الأول فى المفعول وفى الثانى فى الفاعل •

يقول عبد القاهر : (١) « واعلم أنك اذا عمدت الى الفاعل والمفعول • فأخرتهما جميعا الى ما بعد الا • فان الاختصاص يقع حينئذ فى الذى يلى الا منهما • فاذا قلت : ما ضرب الا عمرو زيدا كان الاختصاص فى الفاعل • وكان المعنى أنك قلت : ان الضارب

---

(١) دلائل الاعجاز ٣٤٤ •

عمرو لا غيره • وان قلت : ما ضرب الا زيدا عمرو • كان الاختصاص في المفعول • وكان المعنى أنك قلت • ان المضروب زيد لا من سواه »•

وتقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء على المقصر يجوز على قلة كما فى المثالين السابقين ان بنينا على أنه لا يجوز أن يستثنى بالا الا شيء واحد لضعفهما • لأن اصلها لا النـافية (١) • وهى لا تنفى الا شيئا واحدا ، فلا يقع لبس فيما بعدها ففى قولنا السابق : ما قرأ الا خالد كتابا لا يتوهم أن كتابا مستثنى منه • وعلى هذه القلة جاء قول السيد الحميرى يمدح أبا العباس السفاح :

لو خـير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا

وقول الكميت فى مدح بنى هاشم :

وما لى الا آل أحمد شـيعة وما لى الا مذهب الحق مذهب

فأنت نرى أن الاختصاص فى البيت الأول فى « منـكم » دون فارسا ولو قال : ما اختار فارسا الا منكم • صـار الاختصاص فى فارسـا •

وفى البيت الثانى ترى أن الاختصاص فى الشطر الأول فى آل أحمـد •

وفى الشطر الثانى : فى مذهب الحق • ولو قال وما لى شـعية الا آل أحمد وما لى مذهب الا مذهب الحق • لصار الاختصاص فى غير المراد ولغير المعنى أقول ذلك : لأن السياق هـو الـذى يحـدد المعنى ففى البيت الأول مثلا لو قال ما اختار منكم الا فارسا • يكون المعنى أن المنبر لا يجد فيهم الا فارسا على حين أنه يريد أن المنبـر

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٢/٧٦ •

لا يقصد الا اليهم حيثما تتاح له الفرصة فى اختيار فرسانه • وذلك على سبيل الاستعارة •

قلت : انه يجوز على هذا تقديم المقصور عليه • واداة الاستثناء على المقصـــــور وذلك ان بنينا على أنه لا يســـــتثنى بالا الا شيء واحد • اما ان بنينا على جواز أن يستثنى بها شيئان بلا عطف • لم يجز التقديم حيث يقصد الحصر فى ما والا هنا فقط بقلة ولا بغيرها• لأن التقديم يوجب توهم أن المراد القصر فى ما يليها وما بعده (لأن الا : أداة ــ كما قيل ــ يخرج بها شيئان • وحينئذ يصح أن يكون كل واحد مما بعدها مستثنى بها وبذلك يقع فى العبارة لبس) •

والمقصود القصر فى مواليها فقط • فلا يجوز على هذا ولو بقلة أن يقال : فى ما ضرب زيد الا عمرا : ما ضرب الا عمرا زيد برفع زيد، ونصب عمرو • لأنه حيث جوزنا استثناء شيئين يتـــوهم أن المعنى : ما ضرب أحد أحدا ، الا عمرا ضربه زيد • وأكثر النحويين على المنع واعتمده البلاغيون • ولكن بعضهم جوزه اذا صرح بالمستثنى منه كأن يقال : ما ضرب أحد أحدا الا زيد عمرا • فالا زيد : مستثنى من الأحد الأول ، وعمرو مستثنى من الأحد الثانى •

وانما قل التقديم لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها • لأن الصفة المقصورة على الفاعل هى الفعل الواقع على المفعول • لا مطلق الفعل• فلا يتم المقصور قبل المفعول ، فلا يحسن قصره • وكذلك الصـــــفة المقصورة على الفاعل هى الفعل الواقع على المفعول • لا مطلق الفعل، ذكر الفاعل فلا يحسن قصره •

---

(١) شروح التلخيص (مواهب الفتاح) ٢/٢٢٧ •

٢ ــ واذا كان طريق القصر انما (١) • فالمقصور عليه هو الجزء المستقل فى آخر الكلام • فمثلا : الموصول المشتمل على قيود متعددة جزء واحد • وكذلك الموصوف مع صفته • فالمقصور عليه فى قولنا : انما جاءنى من أكرمته يوم الجمعة أمام الأمير • هو الفـــاعل • أى الموصول وصلته • وفى قولنا انما جاءنى رجل عالم • هو الموصـــوف مع صفته • وانما أخر المقصور عليه دون المقصور • لأن المقصـــور مقدم طبعا • فقدم وضعا ليوافق الوضع الطبع (٢) ولا يجوز تقديم المقصور عليه بأنما على غيره للالبـــاس • فانه انمـــا جاز فى النفى والاستثناء على قلة لعدم الالباس بناء على أن المقصور عليه هـــو المذكور بعد الا سواء قدم على المقصور أو أخر عنه • وهاهنا ليس الا مذكورا ، بل الكلام متضمن لمعناه • فلو قلنا فى : انما أكرم خالد محمدا انما أكرم خالدا محمد • انعكس المعنى • بخلاف ما اذا قلنـــا فى : ما أكرم محمد الا خالدا • ما أكرم الا محمدا خالد فانه يعلـــم أن المقصور عليه هو المذكور بعد الا • قدم أو أخر •

يقول الامام عبد القاهر : فى قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (٣) : فى تقديم اسم الله عز وجل معنى خلاف مايكون لو أخر •• لأن تقديم اسم الله تعالى : انما كان لأجل أن الفرض أن يبين الخاشون من هم ، وقدم العلماء فقيل : انما يخشى العلماء الله • لصار المعنى على ضد ما هو عليه الآن • ولصار الغرض بيان المخشى من هو والاخبار بأنه الله تعالى دون غيره • ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء ، وأن يكونوا مخصوصين بها كمـــا هو الغرض فى الآية ، بل كان يكون المعنى أن غير العلماء يخشون الله

---

(١) (٢) المطول ٢٢٣ •

(٣) فاطر ٢٨ ــ دلائل الاعجاز ٣٣٨ ــ ٣٣٩ •

تعالى أيضا • الا أنهم مع خشيتهم الله تعالى يخشون معه غيره • والعلماء لا يخشون غير الله تعالى • وهذا المعنى وان كان قد جاء فى التنزيل فى غير هذه الآية كقوله تعالى : « ولا يخشون أحدا الا الله » (١) فليس هو الغرض فى الآية ، وليس اللفظ بمحتمل له البتة ومن أجاز حملها عليه • كان قد أبطل فائدة التقديم ، وسوى بين قوله تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء ، وبين أن يقال انما يخشى العلماء الله •

هذا : ومحل (٢) تأخير المقصور عليه فى انما : اذا استفيد القصر منها فقط • ولم يعرض عارض لتقديمه •فمثلا فى قوله « وانما لذه زكرناها » ، وفى قولك : انما زيدا ضربت : قصر الذكر على اللذة ، والضرب على زيد • فقدم نقدم المقصور عليه على المقصور مع انما لأنها غير مفيدة للقصر • بل المفيد للقصر : التقديم • وهى للتاكيد • أما عارض تقديم المقصور عليه فكقولك : انما قمت • أى لا أنى قعدت فان الفاعل هنا محصور فى الفعل • وقدم الفعل عليه لعدم صحة تقديم الفاعل عليه • ولا يصح فى هذا المثال أن يكون من حصر الفعل فى الفاعل فيكون جاريا على الأصل فى انما من تقديم المحصور ، وتأخير المحصور فيه ، لأن الضمير مع انما يجب فصله اذا قصد الحصر فيه • فان اتصل تعين أن يكون مقصورا • ومن ذلك ما لو تأخر المقصور عليه لا اختل المعنى المراد • وحينئذ يجب تقديمه ومن ذلك قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما يأكل آل محمد من هذا المال » • أى ليس لهم فيه الا أكلهم منه • وليس المعنى لا يأكلون الا منه •ومنه قوله تعالى : « يا قوم انما فتنتم به » (٣) مقتضى ما قالوه : ان المعنى

---

(١) الأحزاب ٣٩ •

(٢) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/٢٣٢ •

(٣) طه ٩٠ • شروح التلخيص (عروس الأفراح) ٢/٢٣٣ ، تقرير الانبابى ٣/٩٣ ، ٩٤ •

ما فتنتم الا به • وليس المراد • فانه لا يصح فيه قصر القلب ولا قصر الافراد • لأنهم لم يكونوا يدعون أنهم فتنوا به وبغيره ، ولا أنهم فتنوا بغيره فقط فتعين على آن المعنى : لم يقع الا أنكم فتنتم به •

٣ ــ **وان كان طريق القصر هو العطف بلا** • فالمقصور عليه : هو المقابل لما بعد لا • فالمقصور عليه فى قولنا : سحبان خطيب لا شاعر : هو خطيب ــ لأنه المقابل لما بعدها وهو شاعر • والمقصور عليه فى قولنا بشار شاعر لا عبد الحميد • هو بشار • لانه المقابل لما بعدها وهو عبد الحميد • وان كان العطف ببل أو لكن • فالمقصور عليه فيهما هو ما بعدها •

٤ ــ **وان كان طريق القصر التقديم** • فالمقصور عليه هو المقدم عليه فى نحو : مصرى أنا • هو مصرى • وفى قول الشاعر :

الى الله أشكو لا الى الناس اننى
أرى الله يبقى والأخلاء تذهب

هو الى الله •

وغير (١) كالا الاستثنائية فى افادة القصر • وانما خص غير بالذكر دون بقية أدوات الاستثناء • لأنه لا يستعمل فى التفريغ من أدوات الاستثناء غير الا • غيرها • وهذا مبنى على أن سوى ملازمة (٢) للنصب على الظرفية ، والا فهى كغير فى افادة القصر • فتقول فى القصر بغير فى قصر الموصوف على الصفة ، وفى قصر الصفة على الموصوف افرادا وقلبا وتعيينا • ما قام غير زيد ، ما زيد غير

---

(١) شروح التلخيص (حاشية الدسوقى) ٢/٣٣٤ •
(٢) شرح التصريح على التوضيح ١/٣٦٢ •

قائم • وتستعمل فى القصر الحقيقى كقولك : لا اله غير الله ، وما خاتم الأنبياء غير محمد ، وغير كالا فى امتناع مجامعتها لا العاطفة فلا يقال فى قصر الصفة على الموصوف ما قام غير زيد لا عمـــرو ، ولا فى قصر الموصوف على الصفة ما زيد غير شاعر لا كاتب •

وعلى الله قصد السبيل • إنه من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادى له • وصلى الله على ســـيدنا محمـــد وعلى آلـــه وصحبه اجمعين ،،

دكتور ابراهيم على حسن داود
مدرس البلاغة والنقـــد
بكليـــة اللغة العربية بالمنوفية